
الكتاب
دعامة الحياة
اية الله السيد محمد
الحسينى الشيرازى (قدس سره الشريف)

بسم الله الرحمن الرحیم

الکتاب دعامهٔ الحیاهٔ

کاتب:

محمد حسینی شیرازی

نشرت فی الطباعهٔ:

مرکز الجواد علیه السلام

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الکتاب دعامة الحیاة

اشارة

اسم الکتاب: الکتاب دعامة الحیاة
المؤلف: حسینی شیرازی، محمد
تاریخ وفاة المؤلف: ۱۳۸۰ ش
اللغة: عربی
عدد المجلدات: ۱
الناشر: مرکز الجواد(ع)
مکان الطبع: قم
تاریخ الطبع: ۱۴۲۴ ق
الطبعة: اول

کلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله ربّ العالمین، والصلاة والسلام علی الهادی البشیر والسراج المنیر محمّد وآله الطاهرین.

أمّا بعد، فمنذ اللحظة الأُولی التی نزل فیها روح القدس علی الرسول الأعظم صلی الله علیه و اله دعاه إلی القراءة فقال عزّ من قائل: ?اقرأ باسم ربّک الذی خلق ? خلق الإنسان من علق ? اقرأ وربّک الأکرم().?

ولیس ذلک فحسب، وإنّما جعل الشارع المقدّس لطلب العلم ونشره منزلة خاصّة فی أحادیثه، الأمر الذی یدلّ علی قداسة العلم وشرافته فی نظر الشریعة الإسلامیة التی جاءت لتخرج الناس من ظلمات الجهل إلی أنوار الهدایة.

وقد بقی الشارع المقدّس یؤکّد بشکل حثیث علی تحصیل العلم ونشره بین الناس الذین عاشوا أعواماً طویلة فی متاهات الجهل الطویلة التی لا أوّل لها ولا آخر.

ومن أهم ما أکّد علیه الإسلام فی دعواه إلی نشر العلم هو الکتاب والکتابة وإلی هذا یشیر قوله تعالی?: ن والقلم وما یسطرون().? وکذا قوله عزّوجلّ?: اقرأ وربّک الأکرم ? الذی علّم بالقلم.?

من جانب آخر فإنّ الرسول الأعظم صلی الله علیه و اله وأهل بیته الأطهار علیهم السلام کانوا یؤکّدون فی روایاتهم الشریفة علی حفظ الکتب والکتابة، بل إنّ بعضهم کتب شخصیّاً کما هو الحال بالنسبة للصدّیقة الزهراء ? والإمام أمیر المؤمنین علیه السلام الذی جمع تفسیر القرآن کلّه.

بالإضافة إلی ذلک فإنّ السلف الصالح منذ عهد الأئمّة المعصومین علیهم السلام وبإیعاز منهم کانوا یدوّنون الأحادیث ویدقّقون فی الروایات، بل ویکتبون التفاسیر والمطالب الفقهیة التی کانوا یتلقّونها من أئمّتهم علیهم السلام.

وعلی هذا النهج القویم سار علماؤنا الأعلام فقدّموا الغالی والنفیس من أجل حفظ التراث الإسلامی العریق الذی أوصلته إلیهم الأجیال السالفة بسفک الدماء وبذل المهج.

ومن العلماء الأعلام الذین صرفوا عمرهم فی الکتابة والتألیف هو سلطان المؤلّفین آیة الله العظمی السیّد محمّد الحسینی الشیرازی رحمة الله علیه ذلک المرجع العظیم الذی خدم المسلمین بمؤلّفاته القیّمة خدمة عظیمة.

فقـد بلغت مؤلّفاته القيّمـة الألف والثلاثمائـة كتاب وكراس وفى مختلف المجالات، فضـلًا عن تشويقاته المسـتمرّة للمسـلمين على أن يحملوا القلم ويدوّنوا الحقائق العلمية التى تخدم المجتمعات وتوعيها من الجهل.

وما هذا الكتاب الذى بين يديك أيّها القارئ الكريم إلّا كشاهد بسـيط على الاهتمام الطائل الذى أولاه المرجع الراحل رحمهٔ الله عليه بالكتاب، حيث كشف فيه عن أسـباب التأليف وفوائـده وأهميّهٔ الكتب التوعويـهٔ خاتماً كتابه بالمهمّـهٔ الملقاهٔ على كل المسـلمين إزاء الكتاب، فسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّاً.

مركز الجواد للتحقيق والنشر

قم المقدسهٔ

المقدمهٔ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

إنّ الكتـاب هو دعامـهٔ الحيـاهٔ، ولـذا فقـد اهتم الغربيون ومن إليهم به أكبر اهتمام، بخلاف المسـلمين اليوم تماماً، ففى السـنهٔ الماضـيهٔ طبعت ونشـرت إسـرائيل البالغ عـدد نفوسـها (أربعهٔ ملايين ونصف) أربعهٔ آلاف وخمسـمائهٔ عنوان، أى لكل مليون ألف عنوان، بينما طبعت البلاد العربيهٔ ونفوسـها ما يقارب ثلاثمائهٔ مليون، سـتهٔ آلاف عنوان أى كل ألف كتاب لخمسـين مليوناً ()، وذلك لعدم اهتمام المسلمين بالكتاب، بل ذكرت بعض الصحف أنّ (۶۵) مليون إنسان عربى لا يعرفون القراءهٔ والكتابهٔ.

وقد تجاوز عدد الصـحف فى إسرائيل على قلّهٔ عدد نفوسهم الصحف فى البلاد العربيهٔ على كثرهٔ عدد الشعوب العربيهٔ()، ونقلت بعض صحف إيران، أنّ كل فرد إيرانى يقرأ فى اليوم ثلاثهٔ ثوان فقط، بينما يقرأ الفرد اليابانى كل يوم ساعتين ونصف.

وفى الوقت الـذى تجد أنّ فى كل ألف بيت مسـلم لا توجد حتى مكتبهٔ واحدهٔ، وفى العراق الذى يعدّ مهد التشـيّع والحضارهٔ لا توجد مكتبهٔ واحدهٔ ذات مليون كتاب، تجد أنّ فى الكنجرس الأمريكى بلغ عدد كتب مكتبتها (۱۲۰) مليون كتاب.

وقد فتحت شخصياً فى كربلاء المقدّسهٔ (۱۵۰) مكتبـهٔ للبيع والمطالعهٔ أغلقتها جميعها حكومهٔ البعث وصادرت كل كتبها، كما أغلقت وصادرت سـبعين مكتبهٔ بيع افتتحناها فى مختلف البلاد العراقيهٔ فرعاً لدار نشـر القرآن الحكيم فى كربلاء المقدسهٔ التى صودرت كتبها أيضاً ().

وعلى كـل، فـإنّ الحكومـات فى بلاـد الإسـلام تحـارب الكتب، وحيث إنه لاـ توجـد أحزاب حرّهٔ ولا تعدديـهٔ ولا حريات، اسـتطاعت الحكومـات منع الشـعب من الكتب التى يريـدها، بـل جعلوا الرقابـهٔ على طبع الكتب ونشـرها، وقـد شـكّلت بعضـها جماعـات كما فى الباكسـتان لقتل أهل العلم باسم: (جماعـهٔ الصـحابهٔ)، كما لخّص أحـد الحكّام القرآن مثل: (أتاتورك)()، وقام أحـدهم بحذف لفظهٔ: ?قل ?فى القرآن بحجّـهٔ إنه خطاب للنبى صـلى الله عليه و اله وقـد توفّى، ناهيك عن حـذف عبد الناصـر() الآيات المربوطهٔ بإسـرائيل مـدّعياً أنّها تمـدحهم، نسأل الله أن يهـدى المسـلمين لما فيه رضاه، وأن يوفقنا للاهتمام بنشـر الثقافـهٔ الإسـلاميهٔ عبر الكتاب وغيره فإنه دعامهٔ الحياهٔ.

قم المقدسهٔ

محمّد الشيرازى

الكتاب فى القرآن الكريم

إنّ كل من يقرأ آيات القرآن الكريم ويتمعّن فى دقائقها ومواعظها الكثيرهٔ يجد أنّ هناك أُموراً أساسـيّهٔ قد أُشير إليها بشـكل مستمر،

منها مسألة الكتاب ودوره الأساسى فى حركة الرسالات السماوية، ومدى حجّيته فى الكثير من المواضع.
فقد ذكرت مفردة (الكتاب) فى القرآن الكريم ما يقارب ۲۵۰ مرّة()، كما أنه جاءت مفردة? كَتب ?و?كُتب ?أكثر من عشرين مرة، ناهيك عن سائر اشتقاقات مادة (كَتَبَ) التى منها:
?اكتب ?و?اكتبها ?و?تكتبوه ?و?تكتبوها ?و?ستكتب ?و?سنكتب ?و?فاكتبنا ?و?فاكتبوه ?و?فسأكتبها ?و?فكاتبوهم? و?فليكتب ?و?كاتب ?و?كاتباً ?و?كاتبون ?و?كاتبين ?و?كتبتْ ?و?كتبتَ ?و?كتبنا ?و?كتبناها ?و?كتبه ?و?للكتب? و?ليكتب ?و?مكتوباً ?و?نكتب ?و?يَكتب ?و?يُكتب ?و?يكتبون.?
الأمر الذى يدلّ على تأكيد الشارع المقدّس على قضية الكتاب والكتابة.

معجزة الرسالات المختلفة

وممّا يدلّ على أهمية الكتاب فى تاريخ الرسالات السماوية المختلفة هو أنّ الأنبياء عليهم السلام كانوا يأتون أقوامهم بالكتب المنزلة من عند الله تبارك وتعالى، فقد قال نبى الله عيسى عليه السلام عندما نطق فى المهد?: إنّى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا().?
وقال تعالى?: ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأُولى().?
وقال سبحانه?: يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً().?
وقال تعالى?: وما أنزلنا عليك الكتاب إلّا لتبيّن لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون().?
وقد اعتاد الناس على أن يأتيهم المبلّغون بكتب سماوية يستدّلون بها على صدقهم فى دعوتهم، قال تعالى?: يسألك أهل الكتاب أن تنزّل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة().?

حجّية الكتاب

وفى الآيات القرآنية المباركة أنّ من الحجج المهمة التى يقيمها البارى تعالى على عباده ويستدلّ بها عليهم هو الكتاب، فقد قال تعالى?: وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً().?
وقد فسّر الشيخ الطبرسى رحمة الله عليه فى تفسيره (مجمع البيان) الآيتين فقال: «ونخرج له يوم القيامة كتاباً» وهو ما كتبه الحفظة عليهم من أعمالهم «يلقاه» أى: يرى ذلك الكتاب «منشوراً» أى: مفتوحاً معروضاً عليه ليقرأه، ويعلم ما فيه «... اقرأ كتابك».. قال قتادة: يقرأ يومئذ من لم يكن قارئاً فى الدنيا.
وروى جابر بن خالد بن نجيح، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: يذكر العبد جميع أعماله، وما كتب عليه، حتى كأنه فعله تلك الساعة، فلذلك قالوا?: يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها().?
«كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً» أى: محاسباً، وإنّما جعله محاسباً لنفسه، لأنه إذا رأى أعماله يوم القيامة كلّها مكتوبة، ورأى جزاء أعماله مكتوباً بالعدل، لم ينقص عن ثوابه شىء، ولم يزد على عقابه شىء، أذعن عند ذلك وخضع، وتضرّع واعترف، ولم يتهيّأ له حجّة ولا إنكار، وظهر لأهل المحشر أنه تعالى لايظلم().
وقال الطبرسى أيضاً فى تفسير قوله تعالى?: وكل شىء أحصيناه كتاباً(): ?أى وكل شىء من الأعمال بيّناه فى اللوح المحفوظ، ومثله ?وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين() ?وقيل: معناه وكل شىء من أعمالهم حفظناه لنجازيهم به. ثمّ بيّن أنّ ذلك الإحصاء والحفظ، وقع بالكتابة، لأنّ الكتابة أبلغ فى حفظ الشىء من الإحصاء، ويجوز أن يكون «كتاباً» حالاً مؤكّدة أى أحصيناه فى حال كونه مكتوباً عليهم، والكتاب بمعنى المكتوب().
بل إنّ الله تعالى يقسم بالكتاب فى سورة الطور حيث قال?: والطور وكتاب مسطور() ?وهذا خير دليل على قداسة المقسوم به وحجّيته

فى نظر الشارع المقدّس وإن كان المراد من الكتاب فى الآية هو القرآن الكريم.
وقال تعالى? ن والقلم وما يسطرون().?
فمن كلام للشيخ الطبرسى رحمة الله عليه فى تفسير الآية قال فيه: «وكتاب مسطور» أى مكتوب وهو الكتاب الذى كتبه الله لملائكته فى السماء، يقرأون فيه ما كان وما يكون. وقيل: هو القرآن مكتوب عند الله فى اللوح المحفوظ، وهو الرق المنشور. وقيل: هو صحائف الأعمال التى تخرج إلى بنى آدم يوم القيامة، فمنهم آخذ كتابه بيمينه، ومنهم آخذ بشماله، وهذا كقوله? ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً()–().?
وفى آية أُخرى يقرّ البارى تعالى حجّية الكتاب مقابل ادّعاءات الكافرين ويناشدهم بإتيان حجّتهم التى هى الكتاب فقال عزّ من قائل: ?أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين() ?أى حجّة بيّنة على ما تقولون وتدّعون، وهذا كلّه إنكار فى صورة الاستفهام «فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين» المعنى: فأتوا بكتابكم الذى لكم فيه الحجّة().
إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالّة على أهمية الكتاب ودوره فى حياة الإنسان.

الإسلام والحث على الكتابة

عندما بزغ نور الإسلام فى أطراف الجزيرة العربية تغيّر الكثير من أُمور المجتمع الجاهلى الذى كان غارقاً فى أوحال الضياع، فبعد أن كان الجهل مخيّماً على عقول الكثير من الناس تخرّج من نفس ذلك المجتمع الكثير من العلماء الذين حملوا رسالة الإسلام وأوصلوا مبادئه إلى أقصى أطراف العالم.
بل إنّ نفس المجتمع الجاهلى الذى لم يكن يتجاوز عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة فيه عدد الأصابع أصبح من خيرة المجتمعات فى الثقافة والوعى، وهذا كلّه يعود إلى فضل الإسلام الحنيف الذى شوّق إلى تعلّم العلم ونشره.
ومن الأُمور المهمّة التى ينشر العلم من خلالها هى الكتابة التى شوّق الإسلام إليها بشدّة، ففى سورة القلم يقول تعالى?: ن والقلم وما يسطرون() ?وهذا خير دليل على التأكيد فى الإسلام على الكتابة بل إنّ تسمية سورة القلم بهذا الاسم لها دلالة واضحة الاهتمام بالكتابة.
والملفت للانتباه هو ما ورد فى تفسير هذه الآية من روايات جميلة تدلّ على إنّ البارى تعالى هو أوّل من أمر القلم بالكتابة.
فعن أبى عبد الله عليه السلام أنه لمّا سئل عن تفسير الآية قال?: أمّا? ن ?فكان نهراً فى الجنّة أشدّ بياضاً من الثلج وأحلى من العسل، قال الله عزّوجلّ له: كن مداداً فكان مداداً، ثمّ أخذ شجرة فغرسها بيده ثمّ قال: واليد القوّة وليس بحيث تذهب إليه المشبّهة ثمّ قال لها: كونى قلماً ثمّ قال له: اكتب، فقال له: يا ربّ وما أكتب؟ قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة، ففعل ذلك ثمّ ختم عليه وقال: لا تنطقنّ إلى يوم الوقت المعلوم().?
وعن أبى عبد الله عليه السلام قال?: أوّل ما خلق الله القلم فقال له: اكتب فكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة().?
وعن عبد الرحيم القصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال: سألته عن? ن والقلم ?قال?: إنّ الله خلق القلم من شجرة فى الجنّة يقال لها الخلد، ثمّ قال لنهر فى الجنّة: كن مداداً فجمد النهر وكانت أشدّ بياضاً من الثلج وأحلى من الشهد، ثمّ قال للقلم: اكتب، قال: يا ربّ ما اكتب؟ قال: اكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فكتب القلم فى رقّ أشدّ بياضاً من الفضة وأصفى من الياقوت، ثمّ طواه فجعله فى ركن العرش ثمّ ختم على فم القلم فلم ينطق بعد ولا ينطق أبداً، فهو الكتاب المكنون الذى منه النسخ كلّها أولستم عرباً؟ فكيف لا تعرفون معنى الكلام وأحدكم يقول لصاحبه: انسخ ذلك الكتاب، أوليس إنّما ينسخ من كتاب آخر من الأصل، وهو قوله?: إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون()» ().?

الکتاب فی الأخبار الشریفة

کما أنّ هناک روایات عدیدة تشیر إلی أهمیة الکتابة وحفظ الکتب وردت عن الأئمّة الأطهار علیهم السلام الذین کانوا یوصون أصحابهم وشیعتهم بالکتابة والاحتفاظ بالکتب.

منها: ما عن المفضّل بن عمر قال: قال لی أبو عبد الله علیه السلام?: اکتب وبثّ علمک فی إخوانک، فإن متّ فأورث کتبک بنیک فإنّه یأتی علی الناس زمان هرج لا یأنسون فیه إلّا بکتبهم().?

وعن أبی عبد الله علیه السلام قال?: القلب یتّکل علی الکتابة().?

وعن أبی بصیر قال: سمعت أبا عبد الله علیه السلام یقول?: اکتبوا فإنّکم لا تحفظون حتّی تکتبوا().?

وعن عبید بن زرارة قال: قال أبو عبد الله علیه السلام?: احتفظوا بکتبکم فإنّکم سوف تحتاجون إلیها().?

وعن أمیر المؤمنین علیه السلام قال?: من مات ومیراثه الدفاتر والمحابر وجبت له الجنّة().?

وقال رسول الله صلی الله علیه و اله?: قیّدوا العلم، قیل: وما تقییده؟ قال: کتابته().?

وفی البحار أنّ رسول الله صلی الله علیه و اله أظهر للیهود العدید من المعاجز الدالّة علی نبوّته وصدقه فی مدّعاه ثمّ قال لهم وللمسلمین: أوقفتکم علی ما أخبرتکم به؟

قالوا: بلی.

فقال صلی الله علیه و اله: یا معشر المسلمین والیهود اکتبوا بما سمعتم.

فقالوا: یا رسول الله قد سمعنا ووعینا ولا ننسی.

فقال رسول الله صلی الله علیه و اله: الکتابة أذکر لکم().

وعن رجل من قریش من أهل مکّة قال: قال سفیان الثوری: اذهب بنا إلی جعفر بن محمد علیه السلام، قال: فذهبت معه إلیه فوجدناه قد رکب دابته، فقال له سفیان: یا أبا عبدالله! حدّثنا بحدیث خطبة رسول الله صلی الله علیه و اله فی مسجد الخیف قال?: دعنی حتی أذهب فی حاجتی فإنّی قد رکبت، فإذا جئت حدّثتک، ?فقال: أسألک بقرابتک من رسول الله صلی الله علیه و اله لما حدّثتنی، قال: فنزل، فقال له سفیان: مر لی بدواة وقرطاس حتّی أثبته، فدعا به ... الخ().

وعن الإمام الحسن علیه السلام أنه دعا بنیه وبنی أخیه فقال?: إنّکم صغار قوم ویوشک أن تکونوا کبار قوم آخرین فتعلّموا العلم، فمن لم یستطع منکم أن یحفظه فلیکتبه ولیضعه فی بیته().?

ونقل العلّامة المجلسی رحمة الله علیه فی معنی الحدیث?: من حفظ علی اُمّتی أربعین حدیثاً فی أمر دینهم بعثه الله یوم القیامة فقیهاً عالماً() ?فقال: والحقّ أنّ للحفظ مراتب یختلف الثواب بحسبها، فأحدها حفظ لفظها سواء کان فی الخاطر أو فی الدفاتر وتصحیح لفظها واستجازتها واجازتها وروایتها().

الدعوة إلی الکتابة

علی الرغم من أنّ رسول الله صلی الله علیه و اله لم یرد إلینا أنه قد کتب وذلک لفلسفة مذکورة فی محلها نعم إنه صلی الله علیه و اله کان یعرف القراءة والکتابة إلّا أنه کان یؤکّد بشدّة أن یتعلّم المسلمون القراءة والکتابة، بحیث أنه کان یشترط علی اُسراء المشرکین تعلیم المسلمین القراءة والکتابة مقابل إطلاق سراحهم.

وقد طلب رسول الله صلی الله علیه و اله فی أواخر حیاته الشریفة أن یأتوه بدواة وکتف لیکتب لهم کتاباً لن یضلوا بعده أبداً () ولکن البعض حال دون ذلک، فی قصة مفصلة رواها الفریقان.

وفى التاريخ أنّ الأسرى المشركين ممّن لا مال لهم كان الرسول صلى الله عليه و اله يقبل منهم أن يعلّموا عشرة من غلمان المسلمين مقابل تخلية سبيلهم، وعلى أثر هذا الأمر تعلّم زيد بن ثابت الكتابة فى جماعة من غلمان الأنصار. بل إنه صلى الله عليه و اله دعا فى أحاديثه إلى الكتابة، ومنها أنه صلى الله عليه و اله قال?: المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم تكون تلك الورقة يوم القيامة ستراً فيما بينه وبين النار، وأعطاه الله تبارك وتعالى بكل حرف مكتوب عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرّات، وما من مؤمن يقعد ساعة عند العالم إلّا ناداه ربّه عزّوجلّ جلست إلى حبيبى فوعزّتى وجلالى لأسكنتك الجنّة معه ولا أُبالى().?

وقال صلى الله عليه و اله?: مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء.?

وقال صلى الله عليه و اله?: إذا كان يوم القيامة وزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجّح مداد العلماء على دماء الشهداء().?

وقال صلى الله عليه و اله?: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا عن ثلاث: ولد صالح يدعو له، وعلم ينتفع به، وصدقة جارية().?

وقال صلى الله عليه و اله?: قيّدوا العلم، قيل: وما تقييده؟ قال: كتابته().?

وروى أنّ رجلًا من الأنصار كان يجلس عند النبى صلى الله عليه و اله فيسمع منه صلى الله عليه و اله الحديث فيعجبه ولا يحفظه، فشكا ذلك إلى النبى صلى الله عليه و اله، فقال له رسول الله صلى الله عليه و اله: استعن بيمينك وأومأ بيده أى خط().?

وعنه صلى الله عليه و اله أنه قال لبعض كُتَّابه?: ألق الدواة وحرِّف القلم وانصب الباء وفرِّق السِّين ولا تُعوِرِ الميم وحَسِّنِ اللهَ ومُدَّ الرحمن وجَوِّد الرحيم وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنّه أذكرُ لك().?

حقائق عن مداد العلماء

ربما يستغرب البعض من الأحاديث التى تنص على أرجحية مداد العلماء على دماء الشهداء يوم القيامة، قال صلى الله عليه و اله?: مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء.?

وقال صلى الله عليه و اله?: إذا كان يوم القيامة جمع الله عزّوجلّ الناس فى صعيد واحد ووضعت الموازين فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجّح مداد العلماء على دماء الشهداء().?

بل إنّ الكثير منهم يتساءلون قائلين: كيف يكون مداد العلماء أرجح من دماء الشهداء؟

وهل هناك شيء أفضل من الشهادة؟

ولماذا يرجّح المداد على الدماء؟

الجواب: إنّ السبب واضح، ذلك لأنّ القلم واللسان هما اللذان يسبّبان تحرّك الناس نحو الجهاد فى ميادين القتال، إضافة إلى أنّهما يحفظان الشريعة ويحافظان على مكتسبات الجهاد فى المعارك.

فإنّ مداد العلماء أمثال: الصدوق()..

والمفيد()..

والكليني()..

والمجلسى()..

والمرتضى()..

والعلّامة()..

والمحقّق()..

والشهيدين().. وغيرهم..

هو الذى أوصل إلينا تعاليم الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام وقوانين الإسلام ودساتيره، وهو الذى

أوصل إلينا أنباء غزوات النبى صلى الله عليه و اله وجهاده، وأنباء ثورة الإمام الحسين عليه السلام وإستشهاده، إنّ القلم والكتاب هو الذى حفظ لنا كل ذلك، وهو الذى أوصل الثقافة الإسلامية إلينا كاملة غير منقوصة.

الكتاب فى تاريخ الشيعة

على أثر تأكيد أهل البيت عليهم السلام وحثّهم لشيعتهم بحفظ الكتب والكتابة المستمرّة فقد كان فى كل ميدان من ميادين العلوم مؤلّفاً شيعياً سبق غيره من المسلمين بالكتابة.

فكتب الكثير من علماء الشيعة فى مختلف العلوم ودوّنوا ما حفظوه وتعلّموه من الأئمّة الأطهار عليهم السلام الأمر الذى حفظ لهم التراث الشيعى.

ففى علم (أصول الفقه) تصدّى علماء الشيعة إلى التأليف قبل غيرهم، ودوّنوا العديد من المؤلّفات، فقد ألّف هشام بن الحكم() فى مباحث الألفاظ، ويونس() بن عبد الرحمن مولى آل يقطين فى التعادل والتراجيح.

وكذا الحال بالنسبة لسائر العلوم حيث ألّف أبو محمّد عبد الله بن جبلة الكنانى فى الرجال()، وألّف إسماعيل بن مهران السكونى فى الأخلاق بعنوان صفة المؤمن والفاجر()، وألّف أُبى بن كعب فى فضائل القرآن() وغيرهم الكثير من مؤلّفى الشيعة الذين استجابوا لوصايا أهل البيت عليهم السلام المنادية إلى التأليف فحفظوا لنا التراث الشيعى من الضياع().

من فوائد الكتاب

لا يخفى أنّ للكتاب فوائد كثيرة نذكر بعضها:

نشر الفكر

۱ نشر الفكر: فمن خلال الكتاب يستطيع الإنسان من نشر فكره وعقيدته ورأيه وإيصالها إلى الآخرين فى مختلف أنحاء العالم خاصّة إذا لاحظنا سهولة انتشار الكتاب فى العصور الأخيرة.

ولذا فقد اهتمّ أعداء الإسلام بنشر الكتاب وترويجه بينما تخلّف المسلمون اليوم وتخلّوا عن ذلك حتّى غزاهم العدو بأفكاره وعاداته بل وحتّى فى ثقافته.

فقد نقلت بعض المجلاّت: أنّ الاتحاد السوفيتى طبع ووزّع فى سنة واحدة، واحداً وعشرين ملياراً من الكتب، وكانت نفوس العالم آنذاك أربع مليارات.

كما أنه ترجم كتاب ماوتسى تونغ (الكتاب الأحمر) إلى أربعمائة لغة رغم عدم مرور حتّى نصف قرن على تاريخ انتشار (الماركسية المادّية).

وأذاع راديو الكيان الصهيونى قبل سنين أنّ الكتب التى وزّعت على الإسرائيليين ما يقارب خمسة عشر مليون كتاباً فى سنة واحدة() ومعنى ذلك أنّ كل إسرائيلى حصل على ما يقارب خمسة كتب من الطفل الصغير إلى الشيخ الكبير، ناهيك إنّ الصهيونية تسيطر على أكثر من ألف جريدة خارج إسرائيل، بينها أُمّهات الجرائد العالمية، وذلك أحد أسباب تمكّنها من كسب الرأى العام الغربى بل والعالمى إلى جانبها رغم كونها غاصبة ومحتلة، مع أنّ نفوس اليهود لا يتجاوز العشرين مليون نسمة (أى نسبة ۱۰٪ من المسلمين). أمّا نحن المسلمين، فبالرغم أنّ عددنا ألفى مليون() وأنّنا أصحاب الحق الشرعى فضلاً عن كوننا مضطهدين محرومين مشرّدين، إلاّ أنّنا لا نحاول إيصال صوتنا إلى العالم بل لا نمتلك حتّى جريدة واحدة واسعة الانتشار تعرف فى العالم رغم سعة أفكارنا ومظلوميتنا!

فإسرائيل تعطى لشعبها الفكر المنحرف الظالم، وتكرّس الجهود للمزيد من التسميم الفكرى والثقافى، فلماذا لا نعمل فى نشر الفكر

الواعى لأجل ألفى مليون مسلم ونحن أصحاب حقّ؟
ولعلّ مما يدل على تراجع المسلمين عن مبادئهم أنّ القرآن الكريم رغم مرور زهاء خمسة عشر قرناً على نزوله على نبى الإسلام صلى الله عليه و اله لم تتجاوز ترجماته (٢٣٠) ترجمة! كما ذكره البعض.

حفظ التراث

٢: من فوائد الكتاب حفظ التراث، حيث إنّ الكتاب يحفظ التراث ويصونه من التحريف والتزييف، فاللازم على كل أمة أن تكتب تاريخها وتجاربها وما أشبه لكى تصل المعارف بأمانة للأجيال القادمة، والشواهد على ذلك كثيرة ومختلفة، فقد حفظت الكتب الأربعة() أخبار الشيعة وأوصلتها لهم على مختلف طبقاتهم.
كما حفظ العلّامة المجلسى والحرّ العاملى() (قدس سرهما) بكتابيهما () القيّمان التراث الشيعى من التلف والضياع...
ومن نعم الله تعالى وعنايته البالغة أنّ أمثال هؤلاء من علماء التشيّع وفّقوا لتدوين التراث وحفظه ولذا فإنّ لهؤلاء الأعلام الفضل فى انتشار المذهب الشيعى ورواجه فى العالم كما نراه اليوم.

الأجر والثواب

٣: من فوائد الكتاب الأجر العظيم، حيث ورد فى الأخبار الشريفة أنّ الكتاب هو من الصدقات الجارية التى تعود منافعها على الإنسان بعد وفاته أيضاً، فعن النبى صلى الله عليه و اله قال?: إذا مات المؤمن انقطع عمله إلّا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له().?

مع صاحب المستدرك

والشواهد على ذلك كثيرة منها ما نقل فى أحوال الحاج النورى() صاحب كتاب (مستدرك الوسائل) أنّه رؤى يتمشّى على شطّ سامراء فى حالة فرح وابتهاج، فسئل عن سبب فرحه؟
فقال: إنّى رأيت البارحة والدتى فى قصر كبير من قصور الجنّة ولها أنهار وأشجار ونخيل، ولمّا رأتنى والدتى استقبلتنى بترحيب كبير، وقالت لى: إنّنى بسببك معروفة فى هذا العالم ب «مادر آغا» أى والدة السيد العظيم، وإنّك لا تؤلّف كتاباً إلّا وتأتينى الملائكة به فى طبق من نور، فأزداد احتراماً أكثر فأكثر.

رؤيا الإمام الحسين عليه السلام

وقد رأيت ذات مرّة فى مدينة قم المقدّسة الإمام الحسين عليه السلام فى المنام وكان جالساً فى إيوانه الشريف وهو متّجه نحو القبلة والضريح وراءه، وكان بالزى الروحانى فى أكمل صورة وأنور جمال، وأمامه فى الإيوان قبور مرتفعة عن الأرض كلّ قبر بقدر إصبع أو ما أشبه، وكانت تلك القبور قبور خطباء المنبر الحسينى.
وقد عرفت جملة منهم ممّن كانت عندهم مؤلّفات، فكانوا يخرجون من القبور، ومتى ما شاءوا دخلوه كأموات، وكان لكلّ قبر من تحته أنبوب ممدود إلى الصحن الشريف مُنتَهٍ إلى حوض صغير فيسير الماء داخل الأنبوب إلى الحوض، والناس محتفّون بتلك الأحواض يشربون منها ويتوضّؤون ويغسلون وجوههم وأيديهم. وفى هذا الأثناء خرج أحد الخطباء من قبره وكان من أصدقائنا وتوجّه إلى الإمام عليه السلام وقال: يا بن رسول الله لماذا ليس فى قبرى أنبوب ولا حوض؟ فرفع الإمام عليه السلام يده اليسرى وبسط كفّه، وكأنّه يكتب بيمناه خطاً فى كفّه اليسرى قائلاً له: أنت لم تكتب كتاباً تتركه من بعدك، ولذا لا حوض لك.

وقد أصررت على ذلك الخطيب فى حياته لكى يؤلّف، لكنّه أبى ولم يكتب شيئاً. الملفت للانتباه إنّنى رأيت أنّ لقبر الشيخ عبد الزهراء الكعبى() أيضاً أنبوب إلى حوض له فى الصحن الشريف كسائر الخطباء، ففكّرت فى أمره فهدانى تفكيرى إلى أنّ مقتل الإمام الحسين عليه السلام الذى قرأه فى يوم عاشوراء طبع بعد وفاته بشكل كتاب مستقل عشرات الطبعات حتّى الآن.

هداية الآخرين

۴: من فوائد الكتاب هداية الآخرين، وهذا واضح لكل من يراقب سيرة المهتدين ويتابع أحوال الذين وصلوا إلى درب الهداية بسبب الكتاب، والشواهد على ذلك كثيرة إلّا أنه نكتفى بالحادثة التالية:

كان يأتينى شاب قبل ما يقارب ثلاثين سنة إلى ديوانية المسجد فى الكويت، وفى إحدى المرات قلت له: من أنت ومن أين وماذا عملك؟

قال: إنّى من فلسطين، واسمى: فلان، وعملى: أستاذ فى جامعة الكويت.

قلت له: وما هو مذهبك؟

قال: شيعى.

قلت: وكيف صرت شيعياً؟

قال: إنّ لى عائلة غير شيعية وإنّى اخترت هذا المذهب فى جامعة أمريكا.

قلت: وكيف ذلك؟

قال: إنّى كنت أراود مكتبة الجامعة فرأيت فيها كتاباً بعدّة مجلّدات يسمّى بالغدير() فتعجّبت أوّلاً لهذا الاسم فتصفّحته قليلًا ثمّ قرأته من أوّله إلى آخره فعرفت أنه حقّ وراجعت بعض مصادره ممّا كان متوفّراً فى تلك المكتبة فظهر لى صحّة ما نقله الغدير ولذا اخترت مذهب أهل البيت عليهم السلام.

ولمّا رجعت إلى فلسطين باحثت بعض علمائنا، وحيث لم أجد له ردّاً على ما ذكر فى الكتاب بقيت مصرّاً على الطريقة التى اخترتها.

تضحيات من أجل الكتاب

ممّا يؤسف له حقّاً أنّ المسلمين اليوم لا يعرفون قدر التضحيات العظيمة والمعاناة الشديدة التى قدّمتها الأجيال السابقة من أجل حفظ الكتاب وإيصاله لمن بعدهم..

فقد عانى المسلمون سابقاً الكثير من المشاكل حتّى أوصلوا لنا هذا التراث الضخم، وقد جرت من أجله الكثير من الدماء الزاكية وقدّمت الأموال الطائلة حتّى حفظ لنا هذا التراث بهذه الدقّة والمتانة خاصة فى ضبط الروايات وتخريجها، حيث بقى الأصحاب يدقّقون بشدّة فى نسخها واستنساخها.

يقول أحمد بن محمد بن عيسى:

جئت إلى الحسن بن على الوشّاء وسألته أن يُخرج إلىّ كتاباً لعلاء بن رزين وكتاباً لأبان بن عثمان الأحمر، فأخرجهما.

فقلت: أُحبّ أن أسمعهما.

فقال لى: رحمك الله، ما أعجلك اذهب، فاكتبهما واسمع من بعد.

فقلت له: لا آمن الحدثان().

فقال: لو علمت أنّ الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه، فإنّى قد أدركت فى هذا المسجد مائة شيخ، كل يقول: حدّثنى جعفر بن محمّد عليه السلام().

وعن حمدويه، عن أيّوب بن نوح: أنه دفع إليه دفتراً فيه أحاديث محمد بن سنان، فقال: إن شئتم أن تكتبوا ذلك فافعلوا، فإنّى كتبت عن محمّد بن سنان ().

ونقل فى أحوال على بن الحسن بن فضّال إنه لم يرو كتب أبيه الحسن مع أنه تلقّاها منه شخصياً وإنّما رواها عن أخويه أحمد ومحمد اللذان نقلا الروايات عن والدهما، وقد اعتذر على بن الحسن عن عدم نقله للروايات مباشرة عن أبيه بأنه يوم تلقّى الأحاديث عن والده كان صغير السن ولم تكن له معرفة كثيرة بالروايات، فقرأها على أخويه مرّة أُخرى().

من بركات الكتاب

إنّ الذى يتابع الأخبار الشريفة ويحقّق فى سيرة العلماء الأعلام يجد أنّ الذين ألّفوا كتباً ودوّنوا ما حصّلوه من العلوم والتجارب قد خلّد ذكرهم وحفظ صيتهم عبر التاريخ.

أمّا الذين رحلوا ولم يكتبوا شيئاً فقلّما تجد أنّ أحداً يذكرهم وإذا ذكروا فهم لا يذكرون كالذين تركوا تراثاً للأجيال اللاحقة، والشواهد على ذلك كثيرة منها:

ما ذكر فى أحوال الشيخ الصدوق وأخيه حيث إنّهما ولدا ببركة دعاء الإمام الحجّة (عجّل الله تعالى فرجه الشريف)، وكلاهما كانا من الذين درسوا علوم آل محمد عليهم السلام إلاّ أنّ العالم اليوم يقوم ويقعد بذكر الشيخ الصدوق رحمة الله عليه بينما قلّما يذكر أخوه وذلك يعود إلى أُمور منها أنّ الصدوق رحمة الله عليه ألّف وكتب وأكثر من الكتابة فبقى التاريخ يفتخر بتراثه القيّم الذى ظلّ العلماء ينهلون منه.

من فوائد الكتاب

من جانب آخر فإنّ من بركات الكتاب المهمّة هو التأثير الإيجابى على مختلف الناس وقد شاهدت ذلك فى حوادث كثيرة ومنها:

إنّنى ألّفت كتيباً بعنوان «مَن هم الشيعة» () وبعثت به إلى الحجّ ليطّلع عليه من غمرتهم الحركات المضلّة بدعاياتها ويعرفوا أنّ ما سمعوه عن الشيعة على لسان أعدائهم لا حقيقة له، لعلّ ذلك يكون سبباً لرجوع الأُخوّة الإسلامية.

وبالفعل، فقد أخبرنى أحد الأصدقاء الذين حملوا عدداً من نسخ هذا الكتاب إلى مكّة المكرّمة، فقال: عندما كنت فى المدينة المنوّرة احتجت إلى الحمّام، فذهبت إليه، وإثر خروجى منه أعطيت الحمّامى بالإضافة إلى الأُجرة نسخة من هذا الكتاب.

فلمّا قرأ اسم «الشيعة» عليه غضب غضباً شديداً ورمى الكتاب بكلّ انزعاج على الأرض. فخرجت ولم أقل شيئاً.

وبعد أيّام احتجت إلى الحمّام مرّة ثانية، واضطررت إلى الذهاب إلى نفس الحمّام، ودخلت بحالة اختفاء، فرأيت الحمّامى نفسه جالساً عند الصندوق، وحينما أردت الخروج خفية بعد تقديم المال إليه، التفت إلىّ ولم يأخذ منّى، فتعجّبت كثيراً وتصوّرت أنّه لم يعرفنى وقلت له: هذه أجرة الحمّام فلماذا لا تأخذها؟

قال: بعد أن ذهبت فى المرّة السابقة أخذت أطالع الكتاب بكلّ كراهية وحذر، وإذا بى أقرأ أشياء معكوسة عمّا هو شائع عن الشيعة عندنا، فالشيعة إمّا هم المسلمون وحدهم أو هم أحد المذاهب الإسلامية؟ فحقّقت عن الأمر فتبيّن لى إنّ الشائع عندنا كان كذباً وزوراً وبهتاناً، فغيّرت رأيى فى الشيعة.

تأثير كتاب (المراجعات)

كما نقل لى أحد تجّار الحجاز فقال:

قبل أربعين سنة تقريباً كنت أحضر مجلس أحد الوزراء حيث كانت أمورى التجارية مرتبطة به فكنت أجلس عنده وكان يستقبل

الضيوف كل أسبوع ليلة، وكان يحضر عنده على الأغلب تجار وهّابيون، وكانوا على علم بأنّى شيعى فينالون من الشيعة بكل كذب وتُهم وافتراء، وكنت أسكت حيث أضطر إلى ذلك، وعلى قول الشاعر:

إذا لم تجد غير الأسنّة مركباً

فما حيلة المضطر إلّا ركوبها

ومع الأسف الشديد أنّ الوزير نفسه لم يكن يتوان عن مشاركتهم فى ذلك التهجّم.

وذات ليلة وبعدما شرعوا فى الكلام ضدّ الشيعة، قال الوزير: اسكتوا لا يحقّ لكم التكلّم ضدّهم إنّهم مثلنا مسلمون، فتعجّب الجميع وتعجّبت أنا أشدّ التعجّب من هذا التحوّل الذى طرأ على الوزير، ولم يقل أحدهم شيئاً ولم أتكلّم أنا.

يقول التاجر: جلست وجلست حتّى ذهب الجميع فبقيت أنا والوزير فقط، فقلت له: رأيت اليوم منك عجباً، لماذا قلت ما قلت وأنت كنت تشارك أصدقائك فى التهجّم على الشيعة كلّ مرّة.

قال الوزير: يا أخى إنّى كنت على ضلالة، وصدفة رأيت كتاباً اسمه «المراجعات» () وقرأته كلّه، فرأيت الشيعة على الحقّ وحدهم، ومن بعد ذلك ليس لى أن أهاجمهم وإنّى لم أر فى معاشرتى لهم طوال عمرى ما يخالف الأخلاق أو الآداب الشرعية.

نعم هكذا يغيّر الكتاب الواحد نظرة وزير، أليس ذلك دليلاً على ما نحن بصدده من ضرورة نشر الكتب بين أوساط الناس حتّى يصلح الفاسد ويرأب الصدع.

كما اهتدى الكثير من العلماء والأساتذة من أبناء العامة إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام ببركة كتاب (المراجعات) للمرحوم شرف الدين العاملى (رضوان الله عليه) وغيره من الكتب.

معاناة من أجل الكتاب

بما أنّ الكتاب يعد وسيلة ناجحة لإحياء الفكر ونشر العقيدة وتربية المجتمعات وسوقها نحو الكمال فقد ضحّى المسلمون خاصّة الشيعة من أجل نشره وحفظه العديد من التضحيات الجسيمة التى يطول شرحها ويعجز الإنسان عن إحصائها.

ففى العهود السابقة لم يكن الورق كما هو الآن من الكثرة والجودة، وإنّما كانوا يعانون الكثير من المعاناة حتّى يعدّوه للكتابة فكانوا يعتمدون على الجلود والورق.

فضلاً عن ذلك لم تكن الأقلام كما فى عصرنا الراهن، وإنّما كان الناس يستفيدون من القصب وريش الطيور ناهيك عن ندرة الحبر وشحّته بين الناس().

وبالرغم من ذلك كلّه تجد أنّ القدماء كانوا يكثرون من الكتابة حرصاً منهم على حفظ التراث وإيصاله للأجيال اللاحقة، بحيث إنّ العلّامة الحلّى كتب ألف كتاب حتّى قالوا فى حقّه: إنّه كان يكتب فى الأسفار راكباً. وهكذا كان سائر علمائنا الأعلام كالشيخ الطوسى() والصدوق والكلينى وغيرهم من أجلّاء الشيعة الذين ملئوا الآفاق بمؤلّفاتهم القيّمة التى بقيت بعدهم تهدى الكثير من الناس عبر الأزمان المختلفة.

نبذة حول المكتبات الإسلامية

لقد بلغ من شدّة اهتمام المسلمين فى العصور السابقة أنّهم كانوا يمتلكون الكثير من المكتبات الضخمة التى ربما لا تملك الكثير من الدول الإسلامية اليوم مثلها.

فقد نُقل أنّ مكتبة العلامة نصير الدين الطوسى() قبل مئات السنين كانت تحتوى على أربعمائة ألف كتاب، وكان للسيد المرتضى رحمة الله عليه ثمانين ألف مجلّد من المقروءات والمصنّفات والمحفوظات، وقيّموا كتبه فبلغت قيمتها ثلاثين ألف تومان آنذاك عدا

الكثير من النفائس التى أَرسلت إلى الأمراء والوزراء().

وذكر العلامة الآغا بزرك الطهرانى: أنّ البيهقى نقل اعتذار الصاحب بن عبّاد() عن الانتقال إلى خراسان لمّا طلبه السلطان آنذاك معتذراً أنّ كتبه العلمية تحمل على أربعمائة جمل.

وقد صدّق البيهقى هذا الاعتذار وقال: إنّ بيت الكتب الذى فى الرى دليل على صدقه فإنّى طالعته بعد إحراق السلطان محمود سبكتكين فوجدت فهرس تلك الكتب عشر مجلّدات().

ونقل العلامة السيد محسن الأمين رحمة الله عليه فى أحوال العالم الشيعى النحوى: ثابت بن أسلم الحلبى الذى ذكره الذهبى فى وفيّات حدود ٤٦٠ه فيما حكى عنه فقال: وتولّى خزانة الكتب بحلب لسيف الدولة فقال من بحلب من الإسماعيلية: إنّ هذا يفسد للدعوة وكان قد صنّف كتاباً فى كشف عوارهم وابتداء دعوتهم، فحمل إلى صاحب مصر فأمر بصلبه فصلب وأحرقت خزانة الكتب التى بحلب وكان فيها عشرة آلاف مجلّد من وقف سيف الدولة بن حمدان().

بل بلغ من شدّة اعتنائهم بالمكتبات أنّه كان فى كل جامع كبير مكتبة، لأنّ من عادة العلماء آنذاك أن يوقفوا كتبهم على الجامع. فقد نقل: أنّ خزانة الكتب (بمرو) كانت تحوى على كتب يزدجرد، لأنه حملها إليها وتركها. وكان الملوك يتفاخرون فى تلك العهود بجمع الكتب بحيث إنّ ملوك الإسلام الثلاثة الكبار بمصر وقرطبة وبغداد فى أواخر القرن الرابع شغفوا شديداً بالكتب؛ فكان الحكم صاحب الأندلس يرسل الرجال إلى جميع بلاد المشرق ليشتروا له الكتب فور ظهورها؛ وكان فهرس مكتبته يتكوّن من أربعة وأربعين كرّاسة، كل منها عشرون ورقة، ولم يكن فيها غير أسماء الكتب. أمّا فى مصر فكانت للحاكم العزيز (المتوفّى عام ٣٨٦ه = ٩٩٠م) خزانة كتب ضخمة؛ وقد أراد المتأخّرون أن يقدّروا عدد ما كانت تشتمل عليه هذه الخزانة، فقال المقريزى: إنّها كانت تشتمل على ألف وستمائة ألف كتاب.

وقد عمل على بن يحيى المنجّم، خزانة كتب عظيمة فى ضيعته، وسمّاها خزانة الحكمة؛ وكان يقصدها الناس من كل البلاد، يقيمون فيها ويتعلّمون منها صنوف العلم؛ والكتب مبذولة لهم والصيانة مشتملة عليهم، والنفقة فى ذلك من مال على بن يحيى.

وبالرغم من كل هذا الاهتمام الطائل من المسلمين فى العهود السابقة بالكتاب إلّا أنّ الأجيال الأخيرة ضيّعت هذا التراث وغفلت عن أهميته فأصبحت مكتباتنا اليوم فقيرة إذا ما قسناها إلى مكتبات الغير، فإنّ أكبر المكتبات الإسلامية فى العراق وإيران حالياً لاتتجاوز كتبها المليون كتاب على أكثر تقدير بينما تجد فى مكتبة الكونجرس فى أمريكا ما يقارب ١٢٠ مليون كتاب.

من هنا كان اللازم علينا أن نعود إلى بناء المكتبات وتزويدها بالكتب المفيدة وندعو الناس إلى المطالعة والاستفادة منها ليرتفع مستوى الوعى فى أوساطهم.

إتلاف المكتبات

بين الفترة والأُخرى كان التراث الإسلامى فى مكتبات المسلمين الضخمة يتعرّض لحملات المغرضين والمناوئين الذين كانوا يترصّدون المسلمين ويطاردونهم فى شتّى أنحاء العالم.

فقد تعرّض المسلمون وخاصّة الشيعة على مرّ التاريخ للكثير من الاضطهادات والمضايقات الشديدة التى جعلتهم يفرّون إلى أقصى أطراف العالم حتّى أنّك اليوم لا تكاد تجد بقعة فى العالم تخلو منهم.

وعلى أثر هذه الاضطهادات بحقّ المسلمين الموالين كان الكثير من تراثهم يتلف ويباد والشواهد على ذلك كثيرة منها:

عندما احتلّ هولاكو() بغداد سنة ٦٥٦ه، أمر بإلقاء الكتب فى نهر دجلة، وكانت فى إحدى المكتبات مليون مخطوط.

وعندما احتلّ الغرب بلاد الشام سنة ٥٠٢ه فى الحروب الصليبية أحرقوا المكتبات الموجودة بما فيها المكتبة الموجودة فى طرابلس، والتى كانت تضمّ ثلاثة ملايين كتاب()، وكان من بين هذه الكتب عدداً لا بأس به من نسخ القرآن الكريم، علماً إنّ قيمة أمثال هذه

المكتبات يتبيّن إذا قايسناها بالمكتبات فى هذا العصر مع لحاظ الفرق بين العصرين من وجود الورق والدواة وسرعة الطباعة والنشر وانخفاض التكاليف.

وعند ما انتزع الغرب بلاد الأندلس من أيدى المسلمين فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى أحرق جميع المكتبات التى كانت هناك. ما عمله بعض حكّام المسلمين استنصاراً لمذهب دون مذهب آخر، كما فعل ذلك خلفاء بنى أُميّة وبنى العبّاس وبنى عثمان بكتب الشيعة، حتّى إنّ بعضهم كان يلقى برماد الكتب المحروقة فى البحر أو النهر أو ينثرها فى الهواء تشفّياً منها.

وقد ذكر البعض أنّ ما أحرقه الأسبان من كتب قرطبة بلغ مليوناً وخمسين ألف مجلّد، ناهيك عمّا أتلفوه ممّا عثروا عليه فى أقاليم الأندلس().

ونقل أنّ أسقف طليطلة أحرق من الكتب الإسلامية ما يزيد على ثمانين ألف كتاب، وأنّ الإفرنج لمّا انتصروا على غرناطة أحرقوا من الكتب النفيسة ما يتجاوز المليون كتاباً().

وأشار بعض المؤرخين المصريين: أنّ المتبقّى من الكتب التى ألّفها المسلمون ليس إلاّ ـ نقطة من بحر ممّا أحرقه الصليبيون، والتتر، والأسبان().

وعند ما أسقط صلاح الدين الأيّوبى الدولة الفاطمية أحرق جميع المكتبات التى كانت فى البلاد، فأضرم فى بعضها النار وألقى بعضها الآخر فى نهر النيل وترك بعضها فى صحراء سيناء، فسفت عليها الرياح حتّى صارت تلالاً عرفت بتلال الكتب، كما إنّ حمّامات القاهرة بقيت ستة أشهر تحرق كتب الشيعة لتسخين المياه فى مراجلها. ومن تلك المكتبات التى أحرقها، خزانة الكتب التى أنشأها الحاكم الفاطمى «العزيز بالله» سنة ۳۶۵ه، وكانت تحتوى على مليون وستمائة ألف كتاب فى الفقه والنحو والحديث والتاريخ والطب والكيمياء وغيرها، يقول جورج زيدان فى كتابه (تاريخ التمدّن الإسلامى) المجلّد الثانى ص۲۲۹: كانت تحتوى على ثمانية عشر ألف كتاب فى العلوم القديمة وستّة آلاف وخمسمائة جزء من كتب النجوم والهندسة والفلسفة، وكان فيها «۳۴۰» ختمة قرآن بخطوط منسّقة مزيّنة بالذهب ومجلّدة بشكل نفيس، وكان فيها «۱۲۰۰» نسخة من تأريخ الطبرى.

وكذلك أحرق صلاح الدين دار الحكمة التى أنشأها الحاكم الفاطمى «أمر الله» سنة ۳۹۵ه، وكانت تضمّ أكثر من مائة ألف كتاب.

يقول صاحب كتاب (تاريخ الكتاب) فى القسم الأول ص۱۴۳) () ما نصّه: وقد سجّلت نهاية العصر الفاطمى بداية انهيار المكتبات الكبرى فى القاهرة، فقد أدّى النهب والحرائق واللامبالاة إلى القضاء على قسم كبير من ثروة المكتبات التى كان الخلفاء الفاطميّون وهم من محبّى الكتب قد أنفقوا عليها الكثير من اهتمامهم وثروتهم.

تراث أهل البيت عليهم السلام

على الرغم أنّ الكثير من التراث الشيعى قد أُتلف على يد الطغاة والمعاندين الذين أبادوا المكتبات وأحرقوها إلاّ أنّ هناك قسطاً كبيراً منه ما زال فى طيّات المخطوطات البعيدة عن أيادى الكثير من الشيعة. فقد سألت العلاّمة السيّد محسن الأمين رحمة الله عليه صاحب كتاب أعيان الشيعة: كم من كتبنا غير مطبوعة؟

فقال: المطبوعة منها عشرة فى المائة.

وقال لى أحد العلماء الأعلام معلّقاً على كلام الأمين: إنّه رحمة الله عليه ذكر ما وجده فى المكتبات وإلاّ فإنّه لم يطبع منها (۹۹) فى المائة حيث لاحظت مكتبات الشيعة فى إيران واليمن والعراق والهند وغيرها.

ويؤيّد ذلك إنّنا إذا ما طالعنا كتب الرجال لوجدنا أنّ أغلب المؤلّفين الكبار كالعلاّمة الحلّى وأمثاله لم يطبع من كتبهم إلاّ القليل.

وذكر البعض أنّ تأليفات العلاّمة المجلسى رحمة الله عليه، قسّمت على أيّام حياته فكان لكل يوم ألف بيت كل بيت خمسين حرفاً وهذا تأييد من الله عزّوجلّ، لأنّ كتابة ألف بيت كل يوم صعب جداً وهو ممّا لا يمكن صدوره من أكثر الناس إضافة إلى زمان ولادته

وطفولته ومرضه وسفره وتدريسه وغير ذلك من الأعذار().

وقيل إنه جرى الحديث فى أحد الأيام عن العلّامة الحلّى رحمة الله عليه وأنّ حاصل تأليفاته وتصنيفاته لكل يوم من عمره كلّه ألف بيت، فقال العلامة المجلسى رحمة الله عليه: ونحن أيضاً تأليفاتنا ليست بأقل منه.

فقال له بعض طلّابه: كلامكم صحيح إلّا أنّ تأليفات العلّامة تصنيف وفكر وتحقيق، أمّا تأليفاتكم فتجميع ويقلّ فيها التصنيف.

فقال العلّامة المجلسى رحمة الله عليه: نعم إنّ العلّامة اشتغل كثيراً فى التصنيف بينما اشتغلت أنا فى التأليف().

وقد نقل لى السيّد على الشبّر (رحمه الله تعالى) أنه ذات مرّة ذهب إلى الكاظمية واستأجر غرفة فى فندق، وفى الليل لم يتمكّن من المنام لأنّ الرياح كانت تخفق بشدّة وتضرب بالأوراق، وحيث كان الصوت يأتى من ناحية المرحاض، قال: قمت ونظرت وإذا بكتاب لجدّى واقع فى المرحاض، والهواء الذى يخرج منه فى طريقه إلى السطح هو الذى يحدث ذلك الضوضاء، قال السيّد على: فأخذت الكتاب ولمّا نظرت إليه رأيته كتاباً من كتب جدّى مخطوطاً فأخذته وحفظته.

بالطبع إنّ المخطوطات الشيعية ليست فقط لعلمائنا الأعلام فى العصور السابقة، بل حتّى فى عصرنا الراهن هناك الكثير من المخطوطات لبعض العلماء غير مطبوعة ولم يطّلع عليها أحد أصلًا ومنها ما كتبه أحد العلماء حول الإمام المهدى عليه السلام وقد بلغ مائة جلد لم يطبع منها جلداً واحداً.

إنهم يحاربون الكتاب

لقد تآزرت الحكومات الظالمة عبر العصور المختلفة واتّفقت على محاربة الكتب التوعوية التى ترشد الشعوب وتوقظهم من غفلتهم.

ولذا فقد حورب الكتاب بشدّة وطورد الكتّاب والمؤلّفين فى كل مكان حتّى أصبحوا مشرّدين عن أوطانهم.

وقد شاهدت شخصيّاً كيف أنّ الحكومات المختلفة فى بلادنا تحارب الكتب وتحول دون رواجها بين الناس ولو ذكرت القصص الدالّة على ذلك لاحتاج إلى كتاب مستقل إلّا أنّنى أقتصر على بعضها:

الرقابة الجائرة

لمّا نجح الانقلاب العسكرى الذى قام به عبد الكريم قاسم()

وبأمر من أسياده فى العراق، أصبحتُ فى قائمة الذين منعت الحكومة طبع كتبهم، إلّا مع رقابة شديدة، فإنّ الرقابة فى زمان عبد الكريم قاسم كانت متشدّدة بحيث لا تجيز حتى طبع مثل تفسير: (تقريب القرآن إلى الأذهان)().

وقد كان لى ممّا كتبته أربعة عشر كتاباً فى علوم مختلفة وكنت قد جمعتها تهيئة لطبعها فى العراق فى مجلّد واحد، وكانت هى من قبيل: شرح دعاء السمات، وشرح كتاب نصاب الصبيان، وكتاب فى علم الهيئة والنجوم، وكتاب فى علم الهندسة، وكتاب فى علم الحساب، وما أشبه ذلك، فصادرته الحكومة فى العراق ولم نظفر بعد ذلك عليها حيث كانت النسخة منحصرة فى تلك التى قدّمتها للطبع.

وفى حكومة الملكيين فى العراق التى كانت برئاسة نورى السعيد()، فإنّى أذكر جيّداً أنّ الأخ الشهيد (تغمّده الله برحمته)() كان يصدّر آنذاك مجلّة باسم: (الأخلاق والآداب) وكان مفادها كاسمها متعرّضاً للأخلاق والآداب فحسب، لكن كلمة واحدة منها فقط وقعت مورداً لإشكال حكومة نورى السعيد حيث ادّعت أنّها استفزازية، مع أنّها لم تكن كلمة سياسية، وإنّما كان ادّعاء الحكومة ذلك ذريعة إلى إغلاق تلك المجلة الأخلاقية والتوعوية، والحكم بسجن مصدّريها والعاملين فيها، وكانوا ما يقارب من عشرة أشخاص، فحكمت على كل واحد منهم بالسجن ثلاثة أشهر، لكن نورى السعيد نفسه الذى أصدرت حكومته هذا القرار وحكمت على مصدّرى مجلّة الأخلاق والآداب بالسجن، وحاربت بذلك الثقافة والوعى، شملته تعاسة عدم وعى الناس، وعمته بليّة اللّاوعى الراسخ فى الشعب،

حيث أنّه أَطيح به وبحكومته فى انقلاب عسكرى مسلّح أودت بحياته وحياة حكومته، وأغلقت ملفّ النظام الملكى فى العراق، وذلك على ما هو معروف من تاريخ الملكيين.

وهذا كان من نتائج محاربة الوعى والثقافة، حيث تمكّن الأسياد بواسطة عدم وعى الناس من تنفيذ انقلاب عسكرى، من دون اعتراض أحد من الناس، بينما لم يستطع الأسياد من تنفيذ انقلاب عسكرى فى بعض البلاد وذلك لوعى الشعوب فيها.

ولاـ يخفى أنه كانت لنا فى العراق خمسة عشر مجلّة، مثل: مجلّة الأخلاق والآداب، ومجلّة صوت المبلّغين، ومجلّة أجوبة المسائل الدينية، وغير ذلك من المجلّات الأخلاقية والاجتماعية.. وقد ذكرت أساميها كلّها فى بعض الكتب التى كتبتها فى هذا المجال()، فعمدت الحكومة العراقية وبأمر من أسيادها الناقمين على الإسلام والمسلمين إلى إغلاق كل هذه المجلّات الخمسة عشر، ومنعها من الصدور.

والملفت للانتباه أنّ الحكومة بسبب الرقابة طبعت كل كتاب ضدّ العقيدة والأخلاق، فى حين أنّها منعت كل كتاب يخدم المجتمع ويدعو إلى التقدّم والازدهار.

ولا غرابة فى ذلك إذ أنّ الهدف من الرقابة واضح جدّاً، فهى تريد محو الإسلام، وقد نَظَمتُ هذا البيت فى حقّ الرقابة:

فى بلادى فى بلادى تخنق الدين الرقابة

حيثما يُمرح الإلحاد ولا يخشى ارتقابه()

وأتذكّر عندما كنت فى العراق كيف عاقبت الرقابة الموزّعين لمنشور من صحيفة ضدّ إسرائيل، بينما كانت تجيز كل يوم المناشير التى تعلن عن محلّات الخمور والمباغى السرّية والعلنية والملاهى والمراقص.

وذات مرّة قال لى أحد التجّار وكان من أصدقائنا: بأنه يسعى لتأسيس مصنع لتجميع السيارات وكان يحاول الحصول على إجازة ذلك من الحكومة، لكنّى قلت له: لا تحاول ذلك، فإنّ حكوماتنا غير مستعدّة لإجازة أمثال هذه الأُمور، لكن الرجل كبقيّة الناس لحسن ظنّه حاول وحاول ذلك لمدّة طويلة من الزمان للحصول على الإجازة، ثمّ بعد ثلاث سنوات قالت له الحكومة مهدّدة: الأفضل لك أن تترك هذا الأمر، ممّا اضطرّ إلى تركه!.

وقد جدّد حزب البعث سنّة الأوّلين فأخذ جملة من كتبى المخطوطة لعلّها تصل إلى خمسين وجعلها قطعة قطعة، كما ألقى بجملة من كتبى المطبوعة فى الشارع أو ما أشبه ذلك.

والبهلوى الأوّل صنع بالكتب الدينية مثل ذلك الصنيع، ناهيك عمّا فعلته إحدى الدول التى أنا فيها بكتبى حيث صادرت نفس تفسير (تقريب القرآن إلى الأذهان) الذى حاربه الملكيون، وكان يبلغ عدد دوراته أكثر من ألف دورة. كما وقد أحرقت الحكومة نفسها كتاباً آخر لى باسم: (هكذا كانت حكومة رسول الله صلى الله عليه و اله وأمير المؤمنين عليه السلام) فقد طبع منها بعد إجازة الرقابة المفروضة فيها على الكتاب عشرة آلاف نسخة، لكن لمّا عرفت الحكومة بعد إجازة رقابتها بالطبع، بأنّ هذا الكتاب يضرّ بما يزعموه ويدعوه من سياستهم الإسلامية حيث كان الكتاب يوجب وعى المسلمين بالحكم الإسلامى الصحيح الذى طبّقه رسول الله صلى الله عليه و اله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام أمروا بمصادرتها وحرقها جميعاً، ومن حسن الحظّ أنّه كانت باقية عندى النسخة المخطوطة الأصلية، وإلّا لذهب الكتاب نهباً وحرقاً (). كما صادرت نفس الحكومة منّا كتباً متعدّدة، وقد كان من بينها (كلمة أمير المؤمنين عليه السلام) للأخ الشهيد()، إلى غير ذلك ممّا يطول ذكره().

ولاـ يخفى أنّ هناك فرقاً عظيماً بين الرسول صلى الله عليه و اله الذى قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا عن ثلاث: ولد صالح يدعو له وعلم ينتفع به وصدقة جارية» ().

وبين ما يعمله العديد من حكّام المسلمين من إحراق الكتب العلمية وإفنائها وتعذيب المؤلّفين وقتلهم.

فقد نقل أنّ السلطان الغاشم أمر بضرب (القاضى نور الله) لبعض تأليفاته بالسياط الشائكة رغم علمه الغزير وتقدّمه فى السن ومقامه

الرفيع بين أهل العلم والمؤمنين، ثمّ وضع فی كيس وضرب بالسياط الشائكة مرّة ثانية، ثمّ أَحرق وذرّ رماده فی الهواء.
كما قتل السلطان العثمانی الشهيد الأول العظيم علماً وديناً والشهيد الثانی الذی كان تلو الشهيد الأول فی العظمة والرفعة.
نعم لقد صدق فيهم قول ربّنا تعالی حيث قال?: أتواصوا به بل هم قوم طاغون().?
وكما أنّ المؤمنين عادة ما يكونوا علی شاكلة واحدة، كذلك الظلمة والمفسدون وإن اختلفت المصاديق.

لا للرقابة

وعلی أیّ حال، فالأصل فی الأشياء الإباحة إلّا إذا ظهر انحرافها، لا العكس، كما أنّ الأصل هو حرية الإنسان فی سيره ما لم يظهر أنه يخالف، وكذا بالنسبة إلی الكتب والمجلّات وما أشبه فهی لا تحتاج إلی إجازة أو رقابة إلّا إذا كانت مفسدة، هذا بالنظر الشرعی.
أمّا حسب القانون الغربی والعرف السائد عندهم فالكتاب والمجلّة والجريدة هی من ضروريات الحياة التی لا يمكن لأيّة قوّة من منعها.
فاللازم إلغاء الرقابة من بلادنا، كما يلزم أن تتسلّح الأُمّة بالوعی الكامل حتّی تستطيع أن تواجه الانحراف.
ثم إن من الوسائل التی استخدمتها الحكومات الديكتاتورية للتخلّص من الكلمة المكتوبة وإبقاء الشعوب علی جهلها وتخلّفها هو وضع الرقابة علی وسائل الثقافة والإعلام، وعلی الخصوص الكتاب، الذی يعتبر سلاح الشعوب فی مواجهة الاستبداد، وسجّل الكفاح المرير فی سبيل نشر وتوزيع الكتاب أنبل صفحات التاريخ الثقافية والإنسانية. وقد خسر الكثير من المؤلّفين والناشرين وأصحاب المكتبات والقرّاء فی هذه الحرب ممتلكاتهم ومراكزهم الاجتماعية وحتّی رؤوسهم، بينما انتهت الكثير من الكتب إلی منصّات الإحراق والبحيرات والأنهار.
والرقابة علی نوعين:
۱: الوقائية، وهی ممارسة الرقابة علی الكتب قبل أن تُرسل للطبع، قيل: أوّل من طبّقها الأساقفة سنة ۱۴۸۵م فی مدينة مانيس عندما أصدر رئيس الأساقفة (برتولوفون هنبرغ) مرسوماً بهذا الصدد. وهذا النوع من الرقابة تطورت وأصبح أكثر فعّالية بعد أن أضيف إليه نظام كامل من التهديدات والإجراءات التعسّفية، وشكّلت لجان كثيرة فی وزارات الإعلام وظيفتها قراءة الكتب قبل إرسالها للطبع، وكان لهذه اللجان الدور البارز فی تحجيم حركة الفكر والمعرفة. ومن تجلّيات هذا القسم هو صدور قوائم بالكتب الممنوعة، ومنع إدخال الكتب إلی البلاد، يقال: إنّ أوّل من استخدم هذا الأسلوب هو الملك البريطانی هنريك الثامن فی القرن الخامس عشر الميلادی وتجاهل أسماء بعض الكتّاب والكتب فی قواميس الأعلام والمؤلّفات المرجعيّة.
۲: العلاجية: وهی ممارسة الرقابة علی الكتب بعد طبعها، ومن تجلّيات هذا القسم حرق الكتب وإلقائها فی مياه الأنهار.
إنّ الرقابة بكلا قسميها قد انتشرت فی بلاد الإسلام وخلقت جوّاً للمؤلّف حتّی ينقطع عن التأليف، كما حذّرت المطابع بالإغلاق والمصادرة، وحذّرت المواطن من اقتناء هذه الكتب أو قراءتها أو حتّی إعارتها.
ولو أراد العالم الإسلامی أن ينهض ويصل إلی مصاف الدول المتقدّمة أو يتقدم عليها لأن الإسلام يعلو ولا يعلی عليه، فعليه أن يلغی الرقابة، كما ألغی العالم الغربی ذلك فی بدايات القرن الثامن عشر الميلادی، فالسويد مثلاً تخلّصت من الرقابة سنة ۱۷۶۶م، والدانمارك سنة ۱۷۷۰م، وهكذا.
وأفضل وسيلة للحدّ من سيطرة الرقابة، هو إيجاد ظروف مناسبة لإزالة الرقابة، ويتمّ ذلك بكتابة الكراريس والكتب حول حرية الطباعة وحرية الكلمة وأهمية الديمقراطية والتعدّدية الحزبية والتنافس الحر، علی أن يكون أسلوب هذه الكتب مهذّباً وسلساً.
وكذلك يتمّ بكتابة مواضيع عن التسامح بين الناس الذين ينتمون إلی أحزاب أو جهات مختلفة ويحملون أفكار متباينة، إلی غير ذلك من الطرق السلمية البعيدة عن العنف.

لماذا تقدّم الآخرون؟

هناک أسباب کثیرة وراء تقدّم الآخرین وبقاء المسلمین علی ما نراه الیوم من التخلّف الثقافی وقلّة الوعی، کان منها اهتمامهم بالکتب وشدّة اعتنائهم بتوعیة شعوبهم عبر مفردات التوعیة من الکتب وغیرها وترویج کل ما یبعث الوعی فی بلادهم.

ففی أحد الأیّام التقیت بصدیق من التجّار الذی کان یمتهن المتاجرة مع الیابان، ویذهب بین فترة وأُخری إلیها، وأحیاناً کان عمله یتطلّب أن یبقی فیها ثلاثة أشهر، فسألته ذات مرّة عن سبب تقدّم الیابان هذا التقدّم الهائل، مع أنّ الیابان کانت وإلی قبل نصف قرن تقریباً أی بعد الحرب العالمیة الثانیة، علی أثر دمار الحرب وغیرها من البلاد المتأخّرة وکانت البضائع الیابانیة فی العراق تعدّ من البضائع غیر الجیّدة وخاصّة بالقیاس إلی البضائع الغربیة المتقدّمة، بحیث کان الناس لا یقبلون علیها ما دام کان یوجد فی السوق مشابهاً لها من البضائع الغربیة المتطورة.

فأجابنی قائلًا: إنّ لتقدّم الیابان أسباباً کثیرة والتی شاهدته منها هو: اهتمامهم الکبیر شعباً وحکومة بثقافة الکتاب والمطالعة، حتّی أنّک إذا دخلت الیابان تجد فی المطار مکتبة، وفی الحدیقة العامّة مکتبة، وفی عیادات الأطباء مکتبة، وفی مکاتب المهندسین مکتبة، وفی السیارات مکتبة، وفی الباصات مکتبة، وفی القطارات والباخرات والطائرات مکتبة، وهکذا.. وإذا دخلت البیت الیابانی وجدت فی الصالون مکتبة، وفی غرفة الاستقبال مکتبة، وفی غرفة الطعام مکتبة، وفی غرفة المنام مکتبة، وفی غرفة الاجتماع مکتبة، وحتی فی بیت الخلاء والمرافق الصحیة أیضاً مکتبة صغیرة بحیث إذا أراد الإنسان أن یجلس لقضاء الحاجة بمقدار دقیقة أو دقیقتین، طالع بذلک المقدار من الوقت واغتنم تلک الفرصة.

کما إنّک إذا رکبت الطائرة أو الباخرة، أو السیارة أو القطار، وجدت کل إنسان جالس فی هذه الوسائل المعدّة للنقل والمواصلات مشغولاً بالمطالعة، یعنی: أنه قد اغتنم فرصة الرکوب لمطالعة کتاب أو مجلّة أو جریدة أو ما أشبه ذلک.

کان ذلک الصدیق التاجر یقصّ علیّ مشاهداته عن الیابان وثقافة الیبانیین ومکتباتهم التی تفوق عدد نفوسهم، فمرّ علی خاطری مأساتنا فی العراق، حیث أسّسنا فی کربلاء المقدّسة ما یقرب أربعین مکتبة بدائیة للمطالعة فی المساجد والمدارس وما أشبه ذلک، فأغلقت الحکومة کل تلک المکتبات، وکذلک أغلقت الحکومة العراقیة ما أسّسناه من مکتبة عامّة تفتح أبوابها علی الجمیع، وکنّا قد سمّیناها باسم: (مکتبة القرآن الحکیم العامّة)، لتزوید مکتبات العراق ومختلف بلاد العربیة والإسلامیة بالکتب والمطبوعات والمعلومات الدینیة والثقافة العامّة، فعمدت الحکومة العراقیة إلی إغلاق هذه المکتبة: مکتبة الأُم العامّة وکل تلک المکتبات التی کانت تتجاوز السبعین مکتبة، فی کربلاء المقدّسة وفی مختلف المدن العراقیة، وإضافة إلی إغلاقها صادرت الحکومة کل کتبها وجمیع ما فیها!.

علی کل فقد اعتنی غیرنا بالکتاب وتماهلنا نحن عنه ولذا تقدّموا عنّا، فقد قرأت أنّ الغربیین لمّا أرادوا التخلّص من الدوقات والکنیسة المنحرفة ألّفوا عشرین ألف عنوان کتاب بمختلف اللغات، ممّا سبّب لهم التخلص منها والتقدم العلمی، ولم أعرف کم طبعوا منها.

وقد قرأت أنّهم ترجموا الإنجیل إلی ألف لغة ونشروها فی جمیع أنحاء العالم!

وأنه تصرف فی إحدی الدول الغربیة فی العام الواحد ۲۰۰ ملیار دولار للإعلام بمختلف أنواعه().

وقد طبعت بریطانیا مباشرة وتسبیباً لتأیید (أتاتورک) عشرة آلاف کتاب فی ترکیا وفی بعض البلاد العربیة والأوربیة وغیرها، کما طبع أهل الغرب وما إلیه مائة ألف کتاب حول الدیمقراطیة للتخلّص من دیکتاتوریة الحکام، وقد أثّرت الفئتان من الکتب کل أثر أراده المؤلّفون لها.

خلاصة القول إنّ للکتاب أثراً هائلاً ـ فی توجیه القارئ حقّاً کان أو باطلًا، صحیحاً أو فاسداً، إلّا إذا کان القارئ قد ترکّز علی ما لا یزیله عن نظره، ولذا کان الفقهاء ینصحون من یرید قراءة الفلسفة: أن یقرأها عند عالم بصیر له خبرة قویة فی الکتاب والسنّة حتّی لا یسبّب بعض مطالبها انحراف ذهنه عن الحقّ.

بین المسلمین والغربیین

إن المسلمین بحکامهم حاربوا الکتاب، ولکن الغربیین لم یحاربوا الکتب فقط بل أتاحوا الحریات وشوّقوا إلی نشر الکتب والصحف والمجلّات وما شابه ذلک.

ففی أحد الأیام حرّضت نفرین من أصدقائنا علی أن یستقرّا فی باریس ویعملا معاً لإخراج مجلّة هناک للمسلمین الذین یتواجدون فی فرنسا ویبلغ عددهم خمسة ملایین نسمة تقریباً، وذلک حسب الإحصاء الرسمی، فذهبا إلی وکیل وزیر الثقافة والإعلام هناک وقالا له إنّهما یریدان إجازة إصدار مجلة إسلامیة مواصفاتها کذا وکذا..

فضحک وکیل الوزیر قائلًا لهما: هل أنتما مسلمان شرقیان؟

قالا: نعم.

قال: إصدار المجلّة فی بلادنا فی حکم دخول السوق وشراء کیلو من التفاح أو اللیمون، حیث إنه یحق لکل إنسان ذلک، والشرط الوحید لتعامل کل إنسان مع الآخرین هو: أن لا یتعدّی الشخص علی حقوق الناس فلا یضربهم بالسکین مثلًا، ولا یتورط بالتفجیرات وحیاکة المؤامرات، وما أشبه ذلک، وکل ما لم یکن من هذا القبیل فهو لا یحتاج إلی إجازة.

کتاب (ماذا فی کتب النصاری)

وقد کتبت کتاباً باسم: (ماذا فی کتب النصاری؟)() وقد ترجم إلی عدّة لغات، وترجمه أحد الأصدقاء إلی اللغة السواحلیة، وجاءنی أحد تجّار أفریقیا ذات مرّة قائلًا إنّی وزّعت هذه الترجمة إلی خمسمائة عائلة مسیحیة أو أکثر وعندما اطّلعوا علی ما فی کتبهم أسلم مئات العوائل منهم.

یقول التاجر، وبعد ذلک طلبنی وزیر المعارف هناک وقال: إنّ بلدنا دیمقراطی ولکل إنسان أن یوزّع ما یشاء من الکتب، لکنّی أرجوک أن لا- توزّع هذا الکتاب بعدُ وذلک لأنّ المسلمین والمسیحیین یعیشون فی هذا البلد بسلام ونشر هذا الکتاب إثارة للمسیحیین، وأخاف أن یحدث ما یکدّر صفو التعایش بسلام بینهما.

ولعلّ من المفارقات الملحوظة بین المسلمین وغیرهم هو أنّنا غالباً لا نشجّع علی الکتاب، وأنا منذ نصف قرن أؤکد علی دور الکتاب وضرورته ولکن التجاوب کان دون المستوی المطلوب بکثیر.

مع أن النبی صلی الله علیه و اله وأهل بیته الطاهرین علیهم السلام وکذلک القرآن الکریم یشجّع دائماً علی العلم والوعی والثقافة والقراءة والکتابة.

وقد تکلّمت مع أحد الأخیار من أصدقائی وهو من التجار المؤمنین ویظهر أنّه من مقلّدی حول ضرورة نشر الکتاب ودوره ساعة من الزمن، وتکلّم معه آخران أیضاً حول الموضوع نفسه، کلنه لم یؤثّر فیه حتّی لطبع کتاب واحد، بینما تکلّمت معه ذات مرّة ثانیة کلاماً عابراً لم یستغرق عشر دقائق فی تأسیس مسجد کان یکلّف آنذاک قبل خمسة عشر عاماً ملیونین، فأظهر فوراً الاستعداد لذلک وأعطی المال بسرعة.

دول الغرب لا تستطیع منع الکتاب

وقد بلغت علاقة غیر المسلمین بالکتاب من المتانة بحیث إنّ أعظم السلطات فی تلک البلاد لا تستطیع أن تحول دون انتشار الکتاب.

فقد حاولت بریطانیا أن تمنع کتاباً یضرّ نشره بالسیاسة البریطانیة وقواعدها الاستعماریة، فعقد مجلس الوزراء للبحث فی ذلک، والتصویت علی منع الکتاب، لکنّه لم یفلح فی ذلک، ولم یصل إلی نتیجة، وخرج الکتاب إلی الأسواق رغم محاولة رئیسة الحکومة

البريطانية من منعه.

كما أنّ حكومة إسرائيل لم تتمكّن أن تمنع كتاب: (المحدال) مع أنّها دعت الكنيست ومجلس الوزراء وغير ذلك لمنع هذا الكتاب الواحد الذى كتب لأجل الإطاحة بإسرائيل وإراءة أفضل الطرق لمحوها من الوجود، فباءت الحكومة بالفشل، ولم توفّق لمنع الكتاب، لأنّ قانون مطبوعاتهم لم يسمح لها بذلك، ورأت أنّ الطريق الوحيد هو إرضاء المؤلّف والقائمين بالطبع والنشر وإغرائهم بالمال وإقناعهم بسحب الكتاب من السوق، لكن المعنيين بأمر الكتاب لم يرضوا بالسحب ونشروا الكتاب وبيع علناً فى إسرائيل. ثمّ إنّ بعض المترجمين الفلسطينيين ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية وانتشرت الترجمة فى البلاد الإسلامية والعربية ممّا يتسنّى لكل إنسان اقتناؤه، وقد حصلت أنا على نسخة منها وقرأتها.

نعم إذا احتاج الغرب فى التخلّص من نير القرون الوسطى إلى (عشرين ألف عنوان كتاب) احتجنا نحن الآن إلى (مأتى ألف) عنوان مع أنّ النسبة بين احتياجات ذلك الزمان وزماننا أبعد وأبعد.

الكتاب دعامة التقدّم

إحدى الأسباب الرئيسة لتقدّم غير المسلمين كما نراه اليوم هو اهتمامهم بالكتاب وتشويقهم المستمر لنشر الفكر التوعوى لأجيالهم من خلال طبع الكتب وما شابهها من المطبوعات، وقد رأيت فى تقرير إنّ الكتاب المقدّس عند المسيحيين قد ترجم إلى ألف لغة، ولكن القرآن الحكيم قد ترجم إلى بضع وأربعمائة لغة فقط.

وقرأت فى مجلّة «العربى» () الكويتية: أنّ ترجمة حياة «محمّد إقبال اللاهورى» () قد كتبت فى خمسة آلاف كتاب وكراس بمختلف اللغات.

وفى بعض المجلات المغربية(): أنّ الحكومة الهندية جمعت آثار «غاندى» () فى ثلاثمائة مجلّد.

وقد ألّفت امرأة غربية (١١۴) كتاباً، طبع كتاب واحد منها ب (١٠٣) لغة، وطبع من كتبها مئات الملايين، وقد رأيت نسخة منها باللغة العربية.

وبالمقابل فقد حرم المسلمون من الكتاب وفرضت الرقابات الشديدة على المؤلّفات فى البلاد الإسلامية حتّى أصبح امتلاك البعض من الكتب يضاهى الكبائر العظيمة. وقد رأيت عندما كنت فى العراق منذ قيام الجمهورية فى انقلاب عبد الكريم قاسم إلى هذا اليوم، حيث يمرّ أكثر من أربعين سنة، كيف أنّ شبح الرقابة بقى جاثماً على الصدور.

ثروات المسلمين.. إلى أين؟

ممّا يؤسف له حقّاً أنّ ثروات المسلمين وخيراتهم الطائلة بدل أن تصرف فى خدمة العقيدة ونشر الكتب القيّمة التى تبين للعالم فكر أهل البيت عليهم السلام ومعارفهم، صرفت فى الأمور التى لا تنفع المسلمين إن لم تصرف فى الأمور الضارّة.

ففى بعض الإحصاءات: أنّ عدد الأُمّية فى العالم العربى عام ١٩٩۶م بلغ ١٠۵ ملايين، ومن المتوقّع أنّ عددهم سيصبح فى عام ٢٠١٠ ما يقارب ١١۵ إلى ١٢٠ مليون أُمّى().

ونقل أنّ ۴٧ ٪ من السكّان العرب البالغين كانوا يجهلون القراءة والكتابة وذلك فى منتصف التسعينات، وفى بعض التقارير أنّ نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة فى العالم العربى هى: ٧ / ۵۴ وهى أقلّ نسبة فى العالم().

كما أنّ أكثر من نصف سكّان الهند وباكستان وبنجلاديش وأفريقيا من الأُمّيين.

وقد قرأت تقريراً حول نسبة التعليم والدخل المعيشى للكثير من الدول وكان يشير بأنّ النسبة غير متكافئة جداً، فبدل أن ترتفع نسبة المثقّفين المتعلّمين فى البلاد نجد أنّ الكثير منها تعانى مشكلة الأُمّية والتراجع الثقافى الملموس.

بالطبع ليس هذا بغريب، إذ أنّ الحكومات تسخّر خيرات المسلمين لصالح الحكّام وشراء أسلحة الدمار التى يتكالبون على شرائها من الغرب().

ففى بعض التقريرات وجدت أنّ لصدام أربعين قصراً وقد بلغت تكاليف إحدى قصوره ما يقارب الأربع مليارات بينما يبقى الشعب العراقى المظلوم يعانى من الفقر والأُمّية.

ومن الواضح أنّ بقاء الجهل بين الشعوب الإسلامية وانتشار الأُمّية بين صفوفهم هو فى صالح الحكومات المستبدة، فإنّ بقاء الناس بجهلهم خير من أن يعوا الحقائق ويطالبوا الحكّام بالعدالة وتطبيق القوانين الإسلامية.

بل إنّنى شاهدت كيف أنّ الحكومات تحارب الواعين من الناس وذلك فى قصص عديدة منها:

الساعة المثالية

إنّ شاباً من شباب العراق استطاع أن يصنع ساعة دقيقة ومضبوطة تعمل بلا نابض ولا جهاز نابضى، فلمّا عرفت به الحكومة العراقية آنذاك، استدعته بحجّة أنّها تريد مكافأته عليها، فلمّا ذهب بالساعة إلى بغداد، أخذت الحكومة الساعة وعاقبت الصانع، ثم لم نسمع بعد ذلك عن الصانع الشاب شيئاً، وبالطبع إنّه مات بحادث اصطدام مصطنع أو ما أشبه، مما دبّرته الحكومة للقضاء عليه وعلى صنعته.

محرّك بلا وقود

كما إنّى أتذكّر أيضاً أستاذنا فى العراق السيّد الكاشانى رحمة الله عليه () فإنّه صنع جهازاً محرّكاً يعمل بدون وقود، فعرضه على الحكومة العراقية وطلب منها المعونة فى تطويره وتكميله، فلم تعبأ به.

فاضطرّ إلى أن يكاشف به بعض البلاد الغربية ويطلب مساعدتها، لكن الحكومة العراقية منعت من مساعدته وضيّقت عليه حتّى توفّى (رحمه الله تعالى) وذلك قبل أربعين سنة تقريباً، فمات ومات علمه معه ودفن مع صاحبه تحت التراب.

طب الأعشاب والعقاقير

وأتذكّر أيضاً كيف أنّ الحكومة العراقية كانت تحارب الطب القديم فى العراق الذى كان قد اعتاده الناس ودأبت عليه المجتمعات فى ذلك الزمان والذى كان يعالج المرضى ببساطة وسهولة، ويعرض عليهم خدماته بلا تكلفة ولا مماطلة، فكانت تسجن الأطباء وتلقى بعقاقيرهم الطبّية فى الشارع.

كما كانت الحكومة تقضى على (العلق) الدويبة التى تمتصّ الدم الزائد من الإنسان، بإدّعاء أنّها خرافة، بينما قرأت فى بعض التقريرات الحديثة أنّ أمريكا تشترى لمستشفياتها (العلق) من فرنسا وذلك بمبلغ عشرة دولارات لكل (علقة) وفرنسا تشترى هى بنفسها (العلقة) من روسيا كل علقة بدولارين.

وكذلك كان الأمر فى إيران، فقد كانت الحكومات الإيرانية هى الأخرى أيضاً تمنع الطب القديم، مع أنّ إيران مهد صالح للأعشاب الطبّية حتّى ذكر خبراء طب الأعشاب فى كتبهم الطبّية: أنّ أرض إيران ينبت فيها مائة ألف قسم من الأعشاب الطبية النافعة.

وكان هناك زمن البهلوى الأول طبيباً حاذقاً يعالج المرضى بالعقاقير والأعشاب، ويصدر جريدة خاصّة فى هذا الشأن، فكانت الحكومة الإيرانية تلاحقه وتطارده حتّى اختفى عن الأعين والأبصار، ولم يعلم هل أنّها قتلته بحادث اصطدام مفتعل، أو بوسيلة أخرى دبّرتها له فقضت عليه.

الباكستان عندما انفصلت عن الهند

وفى باكستان مثلًا عندما انفصلت من الهند وصارت مستقلّة لذاتها وشكّلت حكومة إسلامية لنفسها، طلب رئيس حكومتها محمد على جناح() من أحد أصدقائه المتخصّصين فى علم الاقتصاد، والذى كان قد غادر باكستان وسكن الغرب، ليعود إلى باكستان فيشاركه فى حكومته الجديدة، ويشغل منصب وزارة المالية والاقتصاد.

فلبّى الصديق المسلم، والمتخصّص فى علم الاقتصاد طلب صديقه القديم الرئيس محمّد على جناح، وعاد إلى باكستان بعد أن صفّى أُموره هناك فى المهجر، لكنّه عندما هبطت به الطائرة فى مطار باكستان فوجئ قبل نزوله من الطائرة بتسليم رسالة رسمية من الرئيس جاء فيها ما مضمونه:

صديقى العزيز! لقد تحمّلت عناء السفر والعودة إلى بلدك باكستان الإسلامية، فأهلًا ومرحباً بك، غير إنّى انصرفت عمّا كنت قد اقترحته عليك من التصدى لمنصب وزارة المالية والاقتصاد، وفضّلت أن تكون مواطناً لنا كبقية المواطنين، ثمّ وقّع تحته بالتوقيع التالى: أخوك: الرئيس محمّد على جناح.

كانت هذه الرسالة كالصاعقة تنزل على قلب هذا الصديق المسلم، والمتخصّص فى علم الاقتصاد، وكالعاصفة تعصف بروحه ونفسه، وتأخذ بهواجسه وعواطفه، وتدعوه إلى الرجوع فى أرض المهجر، والعودة إلى بلاد الغرب، فرجع من حيث أتى، وهو متألّم ممّا جرى، ومتأسّف على ذلك، وأخذ يتحرّى عن الحقيقة الكامنة وراء دعوته، ويتطلّع إلى الأسباب التى انتهت بالاعتذار منه، فهو يعرف صديقه الرئيس كاملاً ويعلم بأنّه وفى وشفيق، فلماذا دعاه للوزارة ثم اعتذر منه قبل أن يلتقى به؟ إنه أمر مريب، يتطلّب التحقيق والتعقيب، فعقّب ذلك وواصل تحقيقاته عنه حتّى وصل إلى النتيجة التالية:

إنه لمّا درس الاقتصاد فى الجامعة وأكمل دراسته بنجاح قدّم حينئذ للحصول على شهادته الجامعية فى الاقتصاد، تحقيقاً دقيقاً كتبه عن الاقتصاد الربوى وآثاره السيّئة فى المجتمعات، وأضراره الفادحة على الناس، وأثبت بالأرقام أنه من الأسباب الرئيسية لسيطرة البلاد الاستعمارية على البلاد الإسلامية، حيث إنّ المستعمرين يفقّرون البلاد الإسلامية بسبب الحروب وغيرها، ويضطرونهم إلى أخذ السلفة من الدول الاستعمارية والاستقراض منها مع فوائد كبيرة وباهضة، وبمجرد الاستقراض يدخل البلد المستقرض بشعبه وثرواته فى سيطرة البلاد المقرضة، ويكون من مستعمراته لكن مغلّفاً وتحت ستار الاستقلالية، وذلك لما يفرض عليه من فوائد ضخمة وأرباح مضاعفة، وخاصّة إذا تأخّر موعد تسديد الديون، حيث تتضاعف الفوائد إلى عدّة أضعاف مقدار أصل الدَين.

ثمّ يرى أنه قد واصل بحثه فى تحقيقه ذلك بقوله: إنّ الإسلام كان يعرف هذه الويلات التى تجرّها الربا على الشعوب، ولذلك حرّمها وحرّم التعامل بها، وجعل معاطيها معلناً للحرب على الله ورسوله.

ثمّ إنه بعد أخذ شهادته العالية فى الاقتصاد، يقدّم دراسته التحقيقية هذه، التى كتبها فى فلسفة تحريم الإسلام الاقتصاد الربوى، التى تعرّض فيها لبعض الأضرار والويلات الناجمة من تعاطى الربا، إلى الطبع والنشر.

فلمّا خرج إلى عالم النور وانتشر فى الأسواق، وصلت نسخة منه إلى وزارة الاستعمارات البريطانية آنذاك، وذلك عبر أياديهم المتسلّلة فى الأوساط الاجتماعية، والمنتشرة فى كل البلاد الإسلامية حتّى هذا اليوم، أو إلى وزارة الخارجية عبر السفارات المتواجدة اليوم فى كل العواصم، فإنّهم قد أوكلوا فيها من يبعث لهم كل كتاب جديد يصدر إلى الأسواق، وقد وصل بالفعل هذا الكتاب إلى وزارة الاستعمارات البريطانية، وبعد المطالعة والتعرّف على موضوعه الذى رأوه يناقض مصالحهم الاستعمارية خطّوا عليه بالقلم الأحمر، وحذّروا من وصول صاحب الكتاب إلى منصب وزارى، أو مقام اقتصادى، خوفاً من تطبيق الاقتصاد الإسلامى الناهض للاقتصاد الربوى الاستعمارى والذى يعرّض منافعهم الاستعمارية وأطماعهم السياسة للخطر.

ولمّا أرسل الرئيس جناح، طلباً إليه يدعوه لتصدّى منصب وزارة الاقتصاد، اطّلعت وزارة الاستعمارات البريطانية عبر أياديها المتسلّلة فى الأوساط الحاكمة على ذلك، فعملت وبكل جدّية وخفاء، وبواسطة عملائها المتسلّلين فى صفوف القيادات العليا والمقدّسين من كافّة الطبقات وخاصّة الحاكمة منها، على تغيير رأى جناح بالنسبة إلى صديقه، حتّى استطاعت وبكل حذاقة من إقناع جناح على

إعلان انصرافه عمّا كان ينويه من تسليم حقيبة وزارة المالية والاقتصاد إلى صديقه المتخصّص فى الاقتصاد، وإبلاغ انصرافه وبسرعة فائقة إلى ذلك الصديق، وهو بعد لم ينزل على أرض المطار ولم يواجهه بعد أو يلتق به.
وهكذا اكتشف هذا العالم الاقتصادى الذى كان صديقاً لجناح، أسرار المؤامرة الاستعمارية، التى استهدفته بالذات، وتمكّنت من إقصائه عن استلام حقيبة وزارة المالية والاقتصاد فى حكومة إسلامية يرأسها صديقه القديم جناح، فقضت السلطات الاستعمارية بذلك على طاقاته بعد تجميدها، وحرمت الشعب الباكستانى المسلم من إصلاحاته الاقتصادية.

الكتاب وإحياء التراث

من فوائد الكتاب والكتابة هو حفظ التراث وصيانته من التحريفات ليصل إلى الأجيال اللاحقة البعيدة عن عصر ظهور الإسلام. فلولا أنّ أعلام المسلمين كتبوا الكتب ودوّنوا التراث الإسلامى لضاع المسلمون اليوم ولحرّف الإسلام تماماً كما هو الحال بالنسبة لسائر الديانات الأُخرى.
فلولا الشيخ الكلينى رحمة الله عليه وجهوده المكثفة من أجل تأليف كتابه القيّم الكافى الشريف لضاع الكثير من روايات الشيعة، ولولا جهود الصدوقين والشيخ الطوسى وأمثالهم من مفاخر الإمامية لتغيّرت معالم المذهب.
من هنا نذكر القصص التالية لتدل على شدّة معاناة أمثال هؤلاء العلماء الأعلام ومثابرتهم عبر التأليف وغيره من أجل حفظ تراث أهل البيت عليهم السلام وإيصاله للأجيال اللاحقة.

نذر أن يكتب تفسيراً

فى سنة (۵۴۸ه) توفّى صاحب كتاب تفسير «مجمع البيان» وهو أمين الإسلام أبو على الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى() فى سبزوار، ونقلت جنازته إلى المشهد الرضوى المقدس، ودفن فى المقبرة المعروفة ب «قتلكاه».
وقد نقل صاحب «روضات الجنّات» عن صاحب «رياض العلماء»، قال: ومِن عجيب أمر هذا الطبرسى بل من غريب كراماته، ما اشتهر بين الخاص والعام، أنّه قد أصابته السكتة، فظنّوا به الوفاة، فغسلوه وكفّنوه ودفنوه ثمّ رجعوا، فلمّا أفاق وجد نفسه فى القبر، وقد سدّ عليه سبيل الخروج عنه، من كل جهة، فنذر فى تلك الحالة أنه إذا نجى من تلك الداهية، ألّف كتاباً فى «تفسير القرآن».
فاتّفق أنّ بعض النبّاشين قصده لأخذ كفنه، فلمّا كشف عن القبر أخذ الشيخ بيده، فذهل النبّاش ممّا رآه، ثمّ تكلّم معه، فازداد ذهولاً، فقال له: لا تخف أنا حى، وقد أصابتنى السكتة فدفنونى، ولمّا لم يقدر على النهوض والمشى من غاية ضعفه حمله النبّاش على عاتقه، وجاء به إلى بيته الشريف، فأعطاه خلعة وأولاه مالاً جزيلاً، وتاب على يده النبّاش، ثم إنه بعد ذلك وفى بنذره وشرع فى تأليف كتاب «مجمع البيان».
وتنسب هذه القضية أيضاً إلى فتح الله الكاشى، حيث قيل إنه ألّف بعد نجاته من تلك الواقعة تفسيره الكبير، المسمّى ب «منهج الصادقين».

مع العلامة الحلى

يعتبر العلّامة الحلّى رحمة الله عليه من نوادر الزمان الذين قلّما يجود بمثلهم الدهر، حيث كان عالماً فقيهاً جامعاً مجدّداً للدين، أقام الشريعة ودافع عن حريم التشيّع رغم كثرة المخالفين له.
ومن ميزات هذا العالم الجليل أنّه كان كثير التأليف والكتابة حتّى نقل فى أحواله أنه كتب ألف كتاب رغم اشتغاله الدائم بالتعليم والتدريس والأسفار ومناظراته مع الجمهور.

وقد نقل فی أحواله العدید من القصص المفیدة الدالّة علی عظمة شخصیّته وغزارة علمه، منها أنه کان لا یدع أیّة لحظة من عمره تذهب هباء، بل کان یستفید من اللحظات والدقائق ولذا فإنه کان یکتب فی أسفاره وهو راکب.

فممّا ذکر فی أحواله أنه کان فی أیام الخمیس یقصد کربلاء المقدّسة من الحلّة وهو علی حماره ویرجع یوم الجمعة، لکنّه کان إذا ذهب إلی کربلاء ورجع لا یترک الوقت یذهب سدی بل ینتهزه للکتابة وهو علی دابته ممّا سبّب عدم تمکّن أحد من قراءة خطّه إلّا ولده فخر المحقّقین فإنه هو الذی بیّض مسودّات والده التی کتبها علی الدابة، والیوم بعد مضی ما یقارب سبعة قرون قد بقی العلّامة الحلّی رحمة الله علیه علماً من الأعلام فی الحوزات العلمیة.

مع صاحب الجواهر

إنّ صاحب الجواهر رحمة الله علیه () قد أتعب نفسه الشریفة لیل نهار حتّی خلّف کتابه (الجواهر) الذی یعتبر محطّ استفادة للکثیر من العلماء، وقد نقل فی أحواله: أنه کان له ولد طیّب بار بوالده مجدّ فی توفیر معیشته فمات هذا الولد فحزن صاحب الجواهر علیه حزناً کبیراً وظلّ یفکّر فی أمرین

الأول: أنه من یعیّشه حتی یتم الجواهر فإنه لا یرید الاشتغال بالمعاش لیذهب من وقته.

الثانی: أنه ما هو مصیره فی الآخرة، هل هو من أهل السعادة أو لا؟ لأنه فی الغالب یکون الأمر مجهولاً للإنسان بالنسبة إلی الدار الباقیة. وحیث إنّ وفاة هذا الولد کان قریباً من اللیل وضعت جنازته فی البیت حتّی یأتی الصباح ویجتمع المشیعون لتجهیزه، فأخذ صاحب الجواهر الورق والقلم والکتاب والمحبرة کعادته فی کل لیلة، ولکنه قد جلس علی جنازة ولده وأخذ یکتب ویبکی، ویکتب ویبکی، وهکذا حتّی الصباح، ثمّ لمّا نقلوا الجنازة إلی الحرم المقدّس کان صاحب الجواهر فی التشییع ولمّا دخل إلی الصحن سمع هاتفاً غیبیاً یقول له (نحن خیر لک منه، ونحن خیر له منک) وکان الأمر کما سمع فإنه قد درّ علیه الرزق من بعد الولد ممّا سبّب إتمام الجواهر بدون أن یشتغل بالمعاش وقد صار علماً من علماء المسلمین یذکر إلی الیوم فی الحوزات العلمیة رحمه الله.

وکذلک ینقل فی أحواله أنه کان إذا ذهب إلی المقبرة لأجل قراءة الفاتحة للأموات استصحب معه الکتاب والورق والقلم والمحبرة فإذا جلس هناک عند قبر ولده أو سائر القبور أخذ یکتب الجواهر حتی فی هذه المدّة القصیرة، فکان بعد قراءة الفاتحة والسورة یشتغل بالتألیف حیث کان یری اشتغاله بالعلم أولی من قراءة سائر المستحبات.

وقد ورد فی حدیث عن رسول الله صلی الله علیه و اله خاطب به أبا ذرّ قائلًا: یا أبا ذرّ؟ ساعة فی مذاکرة العلم أحب إلی الله من قراءة القرآن کلّه اثنا عشر ألف مرّة().?

استقامة فی طلب العلم

کان الحاج المیرزا مهدی النراقی رحمة الله علیه() صاحب کتاب «معراج السعادة» وکتب أُخری فی أیّام التحصیل بمنتهی الفقر وخلو الید لدرجة لا یتمکّن معها مِن تهیئة فانوس للمطالعة، وکان یستفید مِن ضیاء الفوانیس الموجودة فی أماکن أُخری من المدرسة.

ومع هذه الشدّة والضیق فی المعاش کان شدید التعلّق والرغبة بطلب العلم، حتّی أنّ الرسالة التی کانت تأتیه من موطنه لا یفتحها ولا یقرأها خوفاً من أن یکون فیها مطلب یکون باعثاً لتشتّت حواسه، ویمنعه من الدرس، وکان یضع الرسائل مختومة کما هی تحت البساط.

وکان أبوه (أبو ذرّ) قد قتل، فکتبوا إلیه یخبرونه بقتله، فوضع کعادته الرسالة تحت البساط أسوة ببقیة الرسائل، وبعد أن یأس منه الأهل والأقارب کتبوا إلی أستاذه وأخبروه بالحادثة وطلبوا منه أن یخبره بالأمر، وأن یرسله إلی قریة نراق لأجل إصلاح أمر الترکة والورثة.

فلمّا حضر النراقی رحمة الله علیه الدرس أخذ بیده الأستاذ وکان مغتمّاً، فسأله النراقی: لماذا أراک مغتمّاً وحزیناً؟

أجاب الأستاذ: ينبغي عليك الذهاب إلى نراق.

فقال النراقى: لأجل مَن؟

قال: إنّ والدك كان مريضاً.

فقال النراقى: إنّ الله سيحفظه ويعافيه، فابدأ بالدرس.

فصرّح الأُستاذ إليه بمقتل والده، وأمره أن يتوجّه إلى نراق.

فامتثل الأمر وذهب ولم يبق أكثر من ثلاثة أيام هناك ثم عاد بعدها، وعلى هذا المنوال كان النراقى رحمة الله عليه يطلب العلم حتّى بلغ مكانة سامية فيه.

وممّا نقل فى أحواله رحمة الله عليهأيضاً أنّه كان يطالع ويؤلّف ولم يكن عنده ضياء يستضىء بنوره، ولذا كان يذهب إلى بيت الخلاء فى المرافق العامّة ويؤلّف.

الكتابة تحت ضوء القمر

كان السيّد نعمة الله الجزائرى رحمة الله عليه () من تلامذة العلاّمة المجلسى رحمة الله عليه المقرّبين، وقد تحمّل الكثير من الصعاب والمشقّات فى طلب العلم، وفى أوائل أيام تحصيله لمّا لم يكن متمكّناً من تهيئة سراج، كان يستفيد من ضوء القمر للمطالعة، حتّى ضعف بصره من كثرة المطالعة والكتابة على نور القمر، وكان يضع فى عينيه من التربة المقدّسة لسيّد الشهداء عليه السلام طلباً لتقوية نور بصره، وببركة تلك التربة فقد قوى نور بصره.

الجدير ذكره أنّ المحدّث القمّى رحمة الله عليه() لمّا نقل هذه الحكاية قال: حينما يستولى الضعف على عينى نتيجة زيادة المطالعة والكتابة، أتبرّك بتربة مراقد الأئمّة الأطهار عليهم السلام، وأحياناً أمسح كتب الأحاديث والأخبار عليها، والحمد لله أنّ عينى إلى الآن فى غاية القوّة والإبصار، آملًا أن ينوّر الله عينى فى الدنيا والآخرة ببركتهم.

الكتابة فى ساحات الجهاد

تناول العلامة السيد الأمين رحمة الله عليه فى كتابه «أعيان الشيعة» الجدّ والسعى المتواصل للسيد جواد العاملى صاحب «مفتاح الكرامة» قائلاً: كان رحمة الله عليه فى الجد وتحصيل العلم قليل النظير، وقد أفنى عمره فى الدرس والتدريس والبحث والمطالعة والتأليف وخدمة الدين، وكان يستغرق وقته ليلًا ونهاراً فى ذلك، دون أن يحدث له ضعف أو اضطراب، وكان مشغولاً بالبحوث العلمية حتى فى أيام الأعياد وليالى القدر من شهر رمضان، واستمرّ على هذه الحال حتى سنّ الشيخوخة وكلّه رغبة ونشاط فى هذا المضمار، وكان لا ينام من الليل إلاّ قليلًا، ولمّا سئل: ما هى أفضل أعمال ليلة القدر؟

أجاب: بإجماع علماء الإمامية هو الاشتغال بطلب العلم.

وفى أيام محاصرة النجف من قبل الوهّابية بين سنوات (١٣٣١ و١٣٣۶ه) كان العلماء مع الأهالى يقومون بالدفاع عن المدينة، وفى الوقت الذى كان يشارك العلماء فى الجهاد والمحافظة على المدينة ووسائل الدفاع وتشجيع المجاهدين والحرّاس وترغيبهم، تراه لا يفتر قلمه عن التأليف والتدريس، فقد كتب فى تلك اللحظات رسالة فى وجوب الدفاع عن النجف، كما استمرّ فى كتابة بعض مجلّدات «مفتاح الكرامة» مثل: مجلّد الضمان والشفعة والوكالة وكان له من العمر حدود السبعين.

ومن الشواهد الجليلة على جدّه فى التأليف: أنه فى نهاية العديد من مجلّدات «مفتاح الكرامة» تراه يكتب: (قد تمّ الفراغ منه ليلة كذا) وذكر فى مجلّد الوقف (قريب منتصف الليل)، والمجلّد الثانى من الطهارة (فى الربع الأخير من الليل) ومجلّد الوكالة (بعد منتصف الليل) ومجلّدين من الشفعة (فى الليل) وبعض المجلّدات الأُخرى (فى ليلة القدر) أو (ليلة عيد الفطر).

وفى آخر مجلّد الإقرار من «مفتاح الكرامة» كتب: فى شهر رمضان من هذه السنة كتبت ثمانية أو تسعة أو عشرة أجزاء من الأبحاث، إضافة إلى الأعمال الأُخرى التى أقوم بها فى شهر رمضان، وما تركت الكتابة إلّا لبعض المؤثّرات التى كانت سبباً للتعطيل.

ونقل حفيده السيد جواد بن السيد حسن فقال: كانت ابنة صاحب «مفتاح الكرامة» سيّدة جليلة القدر ومشهورة بالتقوى والعبادة وكانت قد عاشت خمسة وتسعين عاماً من العمر، دون أن تعانى من ضعف الحواس أو عدم القدرة، وكانت تقول: إنّ والدى ما كان ينام الليل إلّا قليلًا من الوقت، ولم يتّفق لى أن رأيته وهو نائم بل كان مستيقظاً على الغالب مشغولاً بالمطالعة والكتابة.

ونقل حفيده الشيخ رضا بن زين العابدين العاملى الذى كان مدّة فى بيته وكان ينام بعد الفراغ من مطالعاته فى الليالى فقال: كنت أرى جدّى يقظاً ومشغولاً بعمله، وكان يلتفت إلى حفيده ويقول: ما هذا العشق بالنوم، وهذا المقدار الذى نأخذه من النوم يكفينا، وكان يضع رأسه على يده، ويغفو إغفاءة قصيرة جدّاً، ثم يعود إلى عمله، وأحياناً يوقظ حفيده لصلاة الليل، ويقوم هو بالمطالعة.

وكان معروفاً بين العلماء فى زمانه وحتى موته بالدقّة والضبط وصفاء الذات، وكان يرجع إليه كبار العلماء لحلّ المسائل المشكلة فيأخذون منه الجواب أو يطلبون منه تأليفاً فى ذلك، وكان تأليف كتبه بالتماس أساتذته: كالشيخ جعفر كاشف الغطاء، والسيد صاحب الرياض وغيرهم (قدس الله أسرارهم).

كتاب التفسير حتى فى الحرب

روى فى وصف المرحوم الآقا نور الدين العراقى رحمة الله عليه أنه كان من أهل الكشف والكرامات ومن أهل الحقيقة، وكان فى جبهة الحرب، يأخذ القلم والورق ويكتب تفسير القرآن!

وهذا يدل على شدة ضبطه، فلو كان غيره لاشتبه فى كلامه اليومى، ولم يميّز المبتدأ عن الخبر فكيف تكون مشاعر الإنسان فى داخل جبهة الحرب بهذه الكيفية، ولكن هذا الشخص كان جالساً يقرّر ويضع التصاميم، ويكتب تفسيراً مثل هذا بكل دقّة وإتقان.

وكم يؤسف له أنّ الانشغالات منعته من إكمال هذا التفسير وكان فى ذلك الوقت فى مدينة «أراك» وكانت ترد عليه الأسئلة والاستفتاءات من الأطراف والأكناف والقرى، إضافة إلى المراجعات فى الأُمور الأُخرى.

ولم يكن المرحوم الآقا نور الدين فى المسائل محتاجاً إلى كتاب، فكل هذه الاستفتاءات التى ترد عليه، لم يذكر أنه قال: ائتونى بالكتاب الفلانى حتى أرى ما فيه، بل كان حاضر الجواب، وحتّى عند كتابة تفسيره لم يكن لديه كتاب لغة وتاريخ وتفسير، بل كتبه بعقله ومحفوظاته من العلوم.

مع مؤلّف كتاب إظهار الحقّ

نقل أنّه ظهر من بين علماء الهند، عالم انتهج نهج الشيخ محمّد جواد البلاغى، ولكن لا فى فضح اليهود وإبطال خرافاتهم، بل فى كشف المسيحيين، فقد ألّف كتاباً جميلاً فى هذا المجال وسمّاه: (إظهار الحقّ) وهو كتاب مطبوع وموجود فى الأسواق. وقد نقل لى ذات مرّة السيّد حسن آقا مير المشهور، صاحب كتاب (الإمامة الكبرى): أنّه كان يذهب إليه فى داره فى النجف الأشرف، وكان يراه رحمة الله عليه فى حرّ النجف الشديد يتجنّب النزول إلى السرداب ويقول: إنّ النزول إلى السرداب يوجب الكسل للإنسان، ويؤخّره عن أعماله، ويثبّطه عن أداء واجبه، وإنّما كان يجلس فى غرفة من غرفات داره وكانت حارّة شديدة الحرارة، ويأخذ فى التأليف.

يقول السيّد حسن حاج آقا مير رحمة الله عليه:

وكان العالم المذكور أستاذى فى كتاب المكاسب، فقد درست بعضاً من مكاسب الشيخ الأنصارى رحمة الله عليه عنده.

وقال أيضاً عنه: إنّه كان مع جهده اللّامنقطع وسعيه الحثيث مصاباً بمرض نفث الدم، ولكن لم يكن ذلك صادّاً له عن مواصلة أعماله، ومتابعة تأليفاته.

مع المحدث القمى

نقل ناقل عن المرحوم الشيخ عباس القمّى رحمـة الله عليه فقال: كنت أذهب من مدينة (أراك) إلى (قم المقدسة) فى سيارة لى وإذا بى أرى الشيخ عباس القمّى فى أثناء الطريق فى الصحراء المقفرة جالساً على الأرض وهو يكتب، فتقدّمت إليه وسلّمت عليه وقلت له: شيخنا ماذا تفعل فى هذه الصحراء المقفرة وكيف جئت إلى هنا ومن جاء بك وما هذا الذى تكتب؟

فقـال رحمـة الله عليه: كنت فى سيارة قاصـداً من أراك إلى قم وفى أثنـاء الطريق تعطّلت السـيارة فجـاء السـائق وأمر بنزولى قائلًا: إنّ توقّف السيارة من شؤمك فانزل وأرحنا، ثم أنزلنى قهراً، فنزلت مكرهاً آنذاك وفكّرت أن أشرع بالتأليف بدل أن يذهب وقتى هدراً.

كانت هذه القصة فى أيام البهلوى الأول() الذى حارب الدين ورجال العلم بأمر من أسياده المستعمرين الذين جاءوا به.

قال الرجل: فقلت للشيخ وكم لك فى هذه الصحراء؟

قال: ما يقارب الساعتين.

قال: فأخذته فى سيارتى وجئت به إلى قم.

وقفة أُخرى مع القمّى رحمة الله عليه

ونقـل أيضـاً فى أحوال المحـدّث القمّى رحمـة الله عليه أنّه سـافر مع جماعـة من التجـار إلى سوريـا، فكـان رحمـة الله عليه منكبّاً على التأليف والمطالعة باسـتثناء أوقات الصـلاة والزيارة، وحينما كان رفقاؤه يخرجون للتنزّه يصـرّون عليه أن يخرج معهم، إلاّ أنّه كان يأبى ذلك، بل كان رحمة الله عليه يسهر الليل فى المطالعة والتأليف.

الحرب الثقافية

على الرغم من أنّ أعداء الإسـلام أتاحوا المجال على مصراعيه أمام رواج الكتاب فى بلادهم إلاّ أنّهم فى نفس الوقت أخذوا يحاربون الكتب الإسـلامية والتوعوية فى بلادنا، وعمدوا إلى نشـر كتبهم المنحرفة بين المسلمين ليتأثّروا بثقافتهم ويتبعوهم فى عقيدتهم، فبدؤوا حرباً ثقافية ضد المسلمين.

ومع الأسف الشديـد فقـد نجحوا فى خطتهم هذه بشـكل ملحوظ وذلك بمعونة الحكّام الظلمة فى البلاد الإسـلامية، فابتعد المسـلمون عن الكتب وانعكفوا على شهواتهم وملذّاتهم، وربما مشاكلهم ومآسيهم.

والملفت للانتبـاه هو شـدّة صـمودهم واسـتقامتهم على باطلهم وتراجع المسـلمين عن التبليغ لعقيـدتهم ونشـر الكتب الإسـلامية التوعية الداعية إلى الحقّ رغم أحقّيتهم وتسديد البارى تعالى لهم.

وهذه نماذج من اهتمامهم على نشر ثقافتهم بين المسلمين حتى أصبحوا يتبعونهم ويسيرون على نهجهم.

كيف نشروا المسيحية؟

قبل ستين سـنة تقريباً كنت فى النجف الأشرف وكان يأتى فى كل عيد إلى النجف مسيحى من بغداد ويقف فى السوق الكبير ويعطى كل من يشاهده كتاب العهدين المحمّل على عاتق حمّال ثمّ يرجع.

علمـاً أنّهم يعلمون أنّ الكثير من المسـلمين خاصـة فى المنـاطق المقدّسـة ومراكز العلم أمثـال النجف الأشـرف وكربلاء المقدّسـة وقم المقدّسـة ومشـهد والكـاظمين وسـامراء وغيرهـا من البقاع المباركـة من الصـعب جـدّاً أن يتأثّر أهل هـذه المناطق بالمسـيحية إلاّ أنّهم يصرّون على نشر كتبهم والتبليغ لعقيدتهم.

من أنشطة الوهّابيين

نقل لی أحـد الأصـدقاء الـذين وفّقوا للحـجّ وتشـرّفوا إلی زيارة بيت الله الحرام قبل سـنوات القصّـ ة التاليـة قائلًا: لقـد التقيت بعضو من أعضاء إدارة توزيع الكتب فی المدينة المنوّرة وطلبت منه شيئاً من الكتب.

فقال لی: أظنّک رجل دين؟

قلت: نعم.

قال: اذهب إلی المخزن وخذ ما شئت من الكتب.

قـال: فـذهبت إلی المخزن وإذا بی أری بنايـة ضـخمة، ومكاناً واسـعاً جـدّاً وهو يشـتمل علی ردهات وصالات مملوءة من أرضـها إلی سقفها بالكتب المتنوّعة وباللغات المختلفة من العربية والفارسية والتركية والهندية والإندونيسية وغيرها.

قال: فأخـذت جملـة من تلك الكتب وبقـدر ما يمكننی حمله وخرجت، ثمّ جئت بها إلی قم وقـد قـدّرت سـعرها بالعملـة المحلّيـة فی ذلك الوقت فكانت ما يقارب من عشرين أو ثلاثين ألف تومان.

أقول: لقد رأيت أنا بعض تلك الكتب وطالعتها، فوجدتها تدعو إلی الوهّابية وتزرع الفُرقة بين المسـلمين، وتؤلّب بعض المسلمين ضدّ بعض، يعنی: علی خلاـف مـا أمر الله به وبلّغ له رسـوله صـلی الله عليه و اله من قـوله تعـالی?: وإنّ هـذه أُمّتكم أُمّـة واحـدة() ?وقوله سبحانه?: واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا().?

كما ذكرت بعض الصحف(): إن السعودية قدمت بليون دولار لرابطة العالم الإسلامی وهی رابطة وهابية.

هكذا يروجون كتبهم

نقـل أحـد علمـاء طهران الـذی ينـاهز عمره الثمانين، فقال: قبل حوالی ۷۰سنـة وكنت آنـذاك طفلًا أذهب إلی الكتاتيب، فی إحـدی المـدن المقدّسـة فی العراق، بينمـا كنت أذهب فی الصـباح البـاكر إلی المدرسـة إذا بی أری فی السوق الكبير ازدحاماً وتجمّعاً كبيراً، فـاتّجهت إلی مركز التجمّع وإذا بی أری رجلين يحمـل أحـدهما علی رأسه كميـة من الكتب وهو يعطی كـل رجل كتاباً، وكان رفيقه يعطی لكل إنسان أخذ كتاباً عشر روبيات، أی ما يعادل مثقالاً من الذهب، ذلك اليوم.

يقول: تقـدّمت وأخـذت كتاباً وعشـر روبيات، وأنا لا أعرف ماهيـة الكتاب، وعندما رجعت إلی الدار وأعطيته لمن فی المنزل تبيّن أنه كتاب يبشّر للمسيحية!

حملات التنصير فی بنغلادش

كتبت أخيراً إحـدی الصـحف عن جمعيـة خيرية تنصـيرية فی أمريكا بأنّها أرسـلت إلی بنغلادش مائتی ألف كتاب، وقد وزّعت تلك الكتب علی ما يقارب من أربعة آلاف إنسان أو أكثر، وذلك بغية تنصـيرهم وتبديل دينهم وعقيدتهم، علماً بأنّ بنغلادش بلدة مسـلمة وشعبها مسلم إلّا ما شذّ وندر.

ومن المعلوم: أنّ ظاهرة توزيع الكتب التی دأبت عليها جمعيات التبشـير والتنصير ليست ظاهرة بتراء، وإنّما وراء هذه الظاهرة دعوة إلی الكنيسة، وإلی طقوسها العبادية، وإلی اعتناق المسيحية والانسلاخ عن الإسلام.

من أساليب التبليغ

أرسلت صديقاً إلی شمال العراق، للتبليغ فی شهر رمضان، وبعد أن رجع سألته عمّا شاهد هناك؟

قال: جاء مسيحى ومعه عربة مليئة بالعهدين يقودها حمّال، فكان يعطى لكل إنسان كتاباً ومعه مائة دولار، وهكذا حتّى أتمّ كل ما فى العربة.

تبليغ بالإجبار

ذات مرّة رجعت من مرقد الإمام الكاظم عليه السلام قاصداً كربلاء المقدسة فوقفت السيارة أمام الإشارة الحمراء على الجسر وإذا بى أرى حفنة من الكتب وكانت عشرة تلقى فى السيارة التى كنت راكباً فيها، وفى كل سيارة سيارة واقفة بالانتظار، وكان الملقى مسيحى له ملابس المسيحية، ولمّا رجعت إلى كربلاء رأيت أنّها كتب مختلفة مسيحية ولعلّ قيمتها كانت فوق الدينار() فى ذلك اليوم.

التبشير إلى المسيحية

نقل لى بعض الأصدقاء القصّة التالية فقال: كنت أعمل فى سوق الصفّارين ببغداد وهو سوق كبير، والعاملون فيه كلّهم مسلمون، وكنت واحداً من الصفّارين وقد كان دأب أحد المسيحيين أن يأتى كل أسبوعين أو كل شهر مثلاً، ويقدّم لكل صفّار كتاباً وربما كان الكتاب مجلّداً ضخماً بقيمة دينار كامل، وعندما كان المبشّر المسيحى يخرج من السوق، كان الصفّارون يلقون الكتب فى النار (فى الكورة التى يستخدمونها لأعمالهم، حيث إنّهم يعلمون أنّها كتب منحرفة).

يقول الأخ: فكّرت ذات مرّة أن أقول للمسيحى واقع الحال حتّى يمتنع عن الاستمرار فى توزيع الكتب، وبالفعل عندما جاء ووزّع الكتب وأراد الذهاب تبعته وقلت له: إنّك تعلم أيّها المبشّر المسيحى إنّ هؤلاء مسلمون وهم يحرقون هذه الكتب التى تعطيها لهم، فلماذا تفعل ذلك إذ أنّها جهود لا طائل فيها ولا ثمرة لها؟

قال: فتبسّم المسيحى وقال: إنّى أعلم ذلك منذ اليوم الأول لأنّى رأيت بطرف عينى إحراقهم للكتب!!

فقلت له: إذن ما الداعى لما تفعل؟

قال: صحيح إنّ هؤلاء يحرقون الكتب ولكن ربما لا يحرق أحدهم الكتاب، فيذهب به إلى داره فيقع الكتاب فى يد ابنه أو ابنته، فيطالعه أو تطالعه، وربما يؤثّر عليهما ولو جزئياً، وهذا ربح لنا!!.

هكذا يضحّون بالمال والأتعاب والطاقات فى سبيل تحريف شخص واحد!؟

هؤلاء يعملون هكذا.

أمّا نحن فإنّنا لم نستطع تثقيف حتى شبابنا وفتياتنا وهذا هو سبب تأخّرنا، ولذا تجد الكثير من المسلمين لا يعرفون شيئاً عن الفكر الإسلامى: فى السياسة والاجتماع والاقتصاد وعلم النفس والإدارة والأسرة وغيرها من تعاليم الإسلام، كما لا يعرفون شيئاً عن كيفية عمل المستعمرين فى بلادنا وأساليبهم وخططهم، ولايعرفون كيف يواجهونهم ويسدّون الطريق عليهم.

محاربة الكتب المفيدة

كنت فى العراق مهتّماً بإرشاد الناس وتوعيتهم ليعرفوا ما يدور وراء الكواليس من خطط استعمارية، علّهم يشعرون بالحالة المتردّية للمسلمين، وبهذا الصدد كنت أنشر الكتب التى توضّح هذه الحقيقة، مثل كتاب «التبشير والاستعمار» وكتاب «مذكرات الداكوركى» وكتاب «مذكرات مستر همفر» وكتاب «بروتوكولات حكماء صهيون»، وصرفت بعض اهتمامى لطبع الكتاب الأخير، وبعد أن نشرناه فى المكتبات نفذ بسرعة ممّا أثار تعجّبى، كيف ينفذ هذا الكتاب بهذه السرعة؟

وأوعزت لطبعه ثانية، وبعد أقلّ من شهر نفذ أيضاً.

وفى مرّة ثالثة طبعته ووزّعته على المكتبات، ثمّ بعد أسبوع من ذلك جاءنى شاب مثقّف فأرشدته إلى شراء هذا الكتاب، وبعد أن

ذهب رجع وقال: قد بحثت فى المكتبات فلم أجد منه نسخة واحدة.
فتعجبت كثيراً وتحقّقت بنفسى فى الأمر، كيف ينفد الكتاب بهذه السرعة فى مدّة قصيرة، وأخيراً اكتشفت إنه كلّما طبع الكتاب جاء البعض إلى المكتبات ليشتروا جميع النسخ، وبالقرائن عرفت أنّهم عملاء اليهود، فإنّ اليهود وإن تركوا العراق وغيره من البلدان الإسلامية بعد اغتصاب فلسطين لكن أبقوا عملاءهم من أجل تنفيذ أمثال هذه الأُمور، ثمّ بعد ذلك منعت رقابة السلطة فى العراق هذا الكتاب.
هكذا يسعى عملاء الغرب جاهدين لإبعاد المسلمين عن ثقافة الحياة.

خاتمة

واجبنا تجاه الكتاب

فى ختام هذا الكتاب لا بأس أن نشير إلى بعض المسؤوليات المهمّة على عاتق المؤمنين الكرام تجاه الكتاب الذى ينبغى لهم أن يستخدموه كسلاح ناجح فى مقاومة عدوّهم اللدود المتمثّل بالجهل، علّهم يعيدون مجدهم الأول الذى شيّده آباؤهم فى العهود السابقة.

التشويق على نشر الكتب

۱: نشر الكتب والحث عليه.
من عادتى المستمرّة أنّنى أشوّق كل من التقى به على الكتابة والتأليف، وطبع الكتب الإسلامية المفيدة ونشرها، لكى ينتشر الوعى الدينى وتحفظ الأجيال المسلمة من الانحراف.
ومن فضل الله تعالى أنّ كثيراً منهم استجابوا لنصائحى وعملوا بها، فلمّا كنّا فى مدينة كربلاء المقدّسة شوّقت بعض الأخوة وساعدتهم ففتحنا أول مكتبة أهلية عامّة لأجل المطالعة فى المدرسة الهندية الكبرى، وقد سمّيناها ب «المكتبة الجعفرية».
كما أصدرنا مجلّة تجيب على كافّة الأسئلة الإسلامية التى ترد إليها، وسمّيت المجلّة باسم (أجوبة المسائل الدينية).
وهكذا مجلات أخرى عديدة.
وبالإضافة إلى ذلك فقد أسّسنا مؤسّسة (طبع ونشر الكتب الدينية) وكان لها من الفروع أكثر من سبعين فرعاً.
فضلًا عن سائر المشاريع الثقافية والمؤسسات التوعوية التى قامت على أكتاف المؤمنين الأخيار الذين كنّا نشوّقهم إلى خدمة الدين ونشر فكر أهل البيت عليهم السلام.
ولا يخفى أنه فقد واجهنا فى ذلك الكثير من المضايقات حتى من بعض الشيعة، فضلًا عن الحكومات التى بقيت تطاردنا وتزاحم أصدقاءنا إلى أن اعتقلت بعضهم وسجنتهم وعذبتهم، حتى اضطررت إلى الخروج من وطنى مقهوراً ().

دعم الكتب

۲: ليس هناك شك أنّ نشر الكتب وترويجها فى مختلف أنحاء العالم يحتاج إلى ميزانية ضخمة تستوعب قدر الكتب المراد طبعها.
وحيث إنّ المسلمين يحتاجون إلى ثلاثة مليارات من الكتب على الأقل، فإنّ طبع هكذا حجم من الكتب يستدعى تأسيس هيئات ومنظّمات عالمية تدرس هذه المسؤولية بجدّية وتضع الخطط اللازمة لها علّها تصل إلى بعض الحلول المفيدة فى ذلك.
كما ينبغى على المثقفين منا أن يحرّكوا الآخرين وينشروا هذه الفكرة بين أوساطهم موضّحين مدى أهمية الكتاب ودوره الحسّاس فى

نشر الوعی بین الشعوب المسلمة التی أصبحت فی أشدّ الفقر من الناحیة الثقافیة.
بالطبع فإنّ من یتصدّی لمثل هذه المشاریع سیلاقی الکثیر من المضایقات إلّا أنه بعد التوکّل علی الله تعالی والتوسّل الشدید بأهل البیت علیهم السلام سیجد أنّ الأمر غیر مستحیل وکما قال أمیر المؤمنین علیه السلام?: قدر الرجل علی قدر همّته().?
وقال علیه السلام?: من طلب شیئاً ناله أو بعضه().?
وقد شاهدت کیف أنّ البعض کان یدعم الکتب وذلک لمّا کنّا نشتری الکتب الدینیة المطبوعة فی القاهرة بثلث الثمن، فسألت عن البائع وهو السید سعید الزینی() من أین هذه الکتب بهذا الرخص؟
قال: فی القاهرة وقّف ثری ثلثه من أجل رخّص الکتاب، والشیک موجود فی المصرف، فالطابع یأخذ الثلثین من الوقف المذکور ویبیع الکتاب بالثلث.

الکتب الجیبیة

۳: کما ینبغی للمؤمنین الکرام أن یرکّزوا علی الکراریس الصغیرة فهی سریعة الانتشار، وسهلة المطالعة، وقلیلة التکلفة، وسهلة الحمل.
ولعلّ الحکمة فی توزیع القرآن الکریم إلی سور صغیرة هو رغبة الناس فی مطالعة القطع الصغیرة التی تنتهی بسرعة، وإلّا فلو کان القرآن کلّه متصل علی نسق واحد ربما لم یکن لقراءته هذا الشوق عند عامّة الناس.
وقد دعت الیهود کما فی کتاب (بروتوکولات حکماء صهیون) إلی ضرورة جعل الضریبة علی مثل هذه الکتب لأهمیتها وخطورتها.
فهذه الکتب ک «السندویشة» التی یسهل تناولها.
وقد نقل لی أحد الأصدقاء الذین سافروا إلی أوروبا: أنّ من عادة المجتمع الأوربی صرف أوقاتهم فی المطالعة، فتجدهم وهم فی القطارات أو الحدائق أو فی عیادات الأطباء أو فی أی مکان عام وبأیدیهم کتب صغیرة یطالعون فیها.
إنّ لمثل هذه الکتب دورها وتأثیرها الخاص علی ذهن الإنسان حتّی لو نسی ما قرأه، فإنه یبقی تموجات ذلک فی لا وعیه، وذلک الأثر المنتقل إلی اللّاوعی هو الذی یسیر بحیاة الإنسان نحو ذلک الاتّجاه ولو نسبیاً.
فمثلاً۔ إذا عقدت مجلساً حسینیاً فی بیتک أو فی المسجد تستطیع أن توزّع فی الیوم الأخیر عدداً من الکتب الصغیرة، فإنّ تکالیف طباعتها قلیلة بالقیاس إلی الکتب الکبیرة، فإذا اعتاد أصحاب المجالس علی توزیع الکتب خصوصاً فی مواسم التبلیغ تصبح الفائدة أکثر، وربما غیّرت مجری الأُمم فی مدّة عقد من الزمان أو أقل، وما ذلک علی الله بعزیز.

الحثّ علی الکتابة

۴: من الأُمور المهمّة الحری بالمسلمین أن یدعوا إلیها ویحثّوا علیها هی الکتابة والانشغال بالتألیف فی شتّی المجالات المفیدة.
فإذا تواصی المسلمون بالکتابة وتعاهدوها فیما بینهم فإنّ الکثیر من الکفاءات والقدرات المغمورة ستظهر وهذا ما شاهدته شخصیاً فی حیاتی.
فقد دعوت الکثیر من الناس إلی التألیف فکانوا یعتذرون بأعذار غیر مقبولة إلّا أنّهم بعد تأکیدنا علیهم وتشویقنا إیّاهم أصبحوا من الکتّاب الجیدین().
وفی الحقیقة أنّ المسلمین إذا حثّوا علی التألیف والکتابة یکونون قد اقتدوا بأئمتهم الطاهرین علیهم السلام الذین أکّدوا فی أحادیثهم الشریفة علی الکتابة وأوصوا أصحابهم ومحبّیهم بها وقد مر بعض تلک الأحادیث.

تأسیس المکتبات

۵: ومن الجدير بالمسلمين اليوم وهم يواجهون الحرب الثقافية على مختلف أنواعها أن يهتّموا بالمكتبات الضخمة التى تحفظ لهم الكتب وتحتضن القرّاء وتزوّدهم بالثقافة اللازمة.

من جانب آخر من المفترض أن يكون لهذه المكتبات مراسلين وموظفين يغتنمون لها الكتب الجديدة من مختلف أنحاء العالم ويزوّدونها بالإصدارات الحديثة فى شتّى العلوم.

ومن الضرورى أن تضم هذه المكتبات مختلف الكتب وبلغاتها المتعدّدة ليستفيد منها الجميع وليس أهل لغة خاصّة.

بطبيعة الحال أنّ تأسيس مكتبات كهذه يحتاج إلى جهود جبّارة وطاقات كثيرة إلّا أنّ الناس إذا أحسّوا بالمسؤولية وعملوا بوظيفتهم الشرعية سيكون إنشاء هذه المكتبات غير صعب.

إحياء الكتب

۶: كما ينبغى للمسلمين الذين بلغ عددهم مليارى مسلم أن يشكّلوا الهيئات والمؤسسات الضخمة التى تتكفّل بإحياء الكتب المفيدة التى نساها الناس أو لم تخرج إلى النور، فيجدّدون طباعتها ويعيدون إعدادها وتحقيقها ليستفيد منها القرّاء فى العالم.

علماً أنّ مثل هذه المؤسسات تحتاج إلى أفراد يجوبون العالم بحثاً عن الكتب المفيدة التى ضاعت من أيدى الناس مخطوطة كانت أو مطبوعة، ثم يرسلونها إلى المؤسسات التحقيقية والمطبعات لتعاد طباعتها من جديد.

فإنّ الكثير من الكتب لا توجد فى متناول الأيدى، وأصبحت مجهولة عند الناس مع حاجتهم الشديدة إليها، وإلّا ماذا يعنى أنّ العلّامة الحلّى والمجلسى (قدس سرهما) لهما من المؤلّفات ما يقارب الألف كتاب ولم يصلنا إلّا القليل منها مع علمنا بفائدة كتبهما وحاجة الناس إلى أمثال هذه المؤلّفات؟

بالطبع هناك الكثير من مؤلّفات علمائنا الأعلام بقيت مخطوطة ولم يهتمّ بها أحد حتّى ضاعت وتلفت وحرم المسلمون من الاستفادة منها، لذلك فإنّ الخدمة التى تقوم بها هذه المؤسسات هى فى غاية الأهمية.

نسأل الله عزوجل أن يوفقنا للاهتمام بهذا الجانب فإن الكتاب دعامة الحياة.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قم المقدسة

محمد الشيرازى

رجوع إلى القائمة

پی نوشتها

() سورة العلق: ۱ – ۳.

() سورة القلم: ۱.

() فقد جاء فى مجلة (النبأ) العدد ۲۳ _ ۲۴ سنة ۱۴۱۹ه ۱۹۹۸م: إنّ إسرائيل تنشر من الكتب عدداً يماثل كل ما ينشره العالم العربى مجتمعاً، مع العلم أنّ سكّان إسرائيل خمسة ملايين فقط والعرب ۲۵۰مليون إنسان.

() نقل أنّ نسبة انتشار الصحف لكل ألف من السكّان فى الجزائر ۴۶ وفى اليمن ۱۷ وفى سوريا ۱۸ وفى مصر ۶۴ وفى السعودية ۵۴ وفى إسرائيل ۸۱. العربى العدد ۴۸۱ ص۷۷ ديسمبر ۱۹۹۸م.

() راجع كتاب (كفاحنا) و(عشت فى كربلاء) حيث أشار المؤلّف رحمة الله عليه إلى طائفة من مشاريعه فى العراق.

() مصطفى أتاتورك (۱۸۸۱ ۱۹۳۸م) مؤسس الجمهورية التركية وأوّل رئيس لها، قام بنشر المفاسد فى بلاده وغيّر كتابة اللغة التركية

من الحرف العربی إلی الحرف اللاتینی.

() جمال عبد الناصر (۱۹۱۸ ۱۹۷۰م) رجل دولـة مصری، قلب الحکم علی الملک فاروق (۱۹۸۲م) رئیس الجمهوریـة عام (۱۹۵۸م) حتّی وفاته.

() مفردة (الکتـاب) تشـمل الألفـاظ التالیـة الـواردة فی القرآن الکریم?: الکتـابَ ?۸۰ مرة?، الکتـابِ ?۸۳ مرة?، الکتـابُ ?۸ مرات، و?کتابَ ?۵ مرات، و?کتابِ ?۷ مرات، و?کتابُ ?مرتین?، کتابٍ ?۱۷ مرة، و?کتابٌ ?۱۹ مرة، و?کتاباً ?۱۲ مرة، و?کتابک ?مرة، و?کتابنـا ?مرة، و?کتـابه ?۵ مرات، و?کتابهـا ?مرة، و?کتـابهم ?مرة، و?کتـابیَه ?مرة، و?لکتـاب ?مرة. و?بالکتـاب ?۵ مرات، ?بکتاب ?۳ مرات?، بکتابکم ?مرة?، بکتابی ?مرة.

() سورة مریم: ۳۰.

() سورة القصص: ۴۳.

() سورة مریم: ۱۲.

() سورة النحل: ۶۴.

() سورة النساء: ۱۵۳.

() سورة الإسراء: ۱۳ — ۱۴.

() سورة الکهف: ۴۹.

() راجع مجمع البیان: ج۶ ص ۲۳۰ — ۲۳۱.

() سورة النبأ: ۲۹.

() سورة یس: ۱۲.

() مجمع البیان: ج ۱۰ ص ۲۴۵.

() سورة الطور: ۱ – ۲.

() سورة القلم: ۱.

() سورة الإسراء: ۱۳.

() مجمع البیان: ج۹ ص ۲۷۱ — ۲۷۲.

() سورة الصافات: ۱۵۶ — ۱۵۷.

() مجمع البیان: ج۸ ص ۳۳۵.

() سورة القلم: ۱.

() علل الشرائع: باب ۱۴۲ ص ۴۰۲ ح ۲.

() تفسیر القمّی: ج ۲ ص ۱۹۸.

() سورة الجاثیة: ۲۹.

() تفسیر القمّی: ج ۲ ص ۳۷۹.

() الکافی: ج ۱ ص ۵۳، باب روایة الکتب والحدیث وفضل الکتابة والتمسّک بالکتب ح ۱۱.

() وسائل الشیعة: ج ۲۷ ص ۸۱ ح ۳۳۲۶۰.

() الکافی: ج ۱ ص ۵۲ ح ۹.

() مشکاة الأنوار: ص ۱۴۲ الفصل التاسع فی الحثّ علی الکتابة والتکاتب.

() إرشاد القلوب: ج۱ ص۱۷۶.

() منية المريد: ص۲۶۷.

() بحار الأنوار: ج۱۷ ص۳۴۵.

() الكافى: ج۱ ص۴۰۳ ح۲.

() بحار الأنوار: ج۲ ص۱۵۲ باب فضل كتابة الحديث وروايته ح۳۷.

() انظر وسائل الشيعة: ج۲۷ ص۹۴ ح۳۳۳۰۵.

() بحار الأنوار: ج۲ ص۱۵۷.

() انظر بحار الأنوار: ج۱۶ ص۱۳۴، والبحار: ج۲۲ ص۴۶۸ وص ۴۷۲ باب وصيته ?عند قرب وفاته، والإرشاد: ج۱ ص۱۸۴، وإعلام الورى: ص۱۳۵، وشرح نهج البلاغة: ج۱۰ ص۲۱۹، وج۱۲ ص۸۷، وكشف اليقين: ص۴۷۲، و...

() وسائل الشيعة: ج۲۷ باب وجوب العمل بأحاديث النبى ? ص۹۵ ح۳۳۳۰۸.

() الأمالى للطوسى: ص۵۲۱، المجلس: ۱۸، ح۱۱۴۹.

() مستدرك الوسائل: ج۱۲ ص۲۳۰ باب استحباب إقامة السنن الحسنة ح ۱۳۹۶۰.

() بحار الأنوار: ج۲ ص۱۵۱ باب فضل كتابة الحديث وروايته ح۳۵.

() بحار الأنوار: ج۲ ص۱۵۲ باب فضل كتابة الحديث وروايته ح۳۶.

() مستدرك الوسائل: ج۴ ص۳۷۱ ب۴۵ ح۴۹۷۲.

() من لا يحضره الفقيه: ج۴ ص۳۹۸ ح۵۸۵۳.

() هو محمد بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّى، كنيته أبو جعفر، ولد ببركة دعاء الإمام الحجّة (عجل الله فرجه) وتوفّى عام ۳۸۱ه. ألّف الكثير من المؤلّفات القيّمة وعلى رأسها كتابه الشريف (من لا يحضره الفقيه) وكتاب (مدينة العلم) الذى فُقد من بعده وحرم المسلمون من الاستفادة منه.

() هو أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان بن عبد السلام العكبرى الملقّب بالشيخ المفيد، من أجلّ مشايخ الشيعة ورئيسهم وأستاذهم، وفضله أشهر من أن يوصف، انتهت رئاسة الإمامية إليه فى وقته، ولد سنة (۳۳۶ه) وتوفّى (۴۱۳ه) دفن فى داره ونقل إلى مقابر قريش بالقرب من جانب رجلى الإمام الجواد عليه السلام، له تصانيف عديدة منها: الرسالة المقنعة، والأركان فى دعائم الدين، والإيضاح فى الإمامة، والإرشاد، والإفصاح، والعيون والمحاسن، يقول عنه الشيخ الطوسى رحمة الله عليه: وكان يوم وفاته يوماً لم يُر أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف له ومن المؤالف. راجع روضات الجنّات: ج۶ ص۱۵۳ بالرقم۵۷۶.

() هو محمّد بن يعقوب الكلينى الملقّب بثقة الإسلام والمكنّى بأبى جعفر، ألّف كتابه الشريف (الكافى) خلال ۲۰ عاماً وحكى عن ابن الأثير أنه قال فى كتابه جامع الأُصول: أنّ من خواص الشيعة أنه يظهر لهم على رأس المائة سنة هجرية مجدّد لمذهبهم ففى رأس المائة الثانية كان الإمام الرضا عليه السلام وعلى رأس المائة الثالثة كان محمّد بن يعقوب الكلينى. ويعتبر الكلينى أوّل من بَوّبَ الأخبار، وقد توفّى ۳۲۹ أو ۳۲۸ وهى سنة تناثر النجوم إلى الأرض ودفن فى بغداد فى مقبرته فى باب الكوفة.

() هو الملاّ محمّد بن باقر بن الملاّ محمّد تقى بن مقصود على المجلسى، ولد عام ۱۰۳۷ه، له العديد من المؤلّفات القيّمة وأشهرها كتابه الشريف (بحار الأنوار) الذى حفظ به تراث الشيعة من الضياع، وقد توفّى عام ۱۱۱۱ه ودفن فى أصفهان.

() هو سيّد علماء الأمّة ومحيى آثار الأئمّة ذو المجدين أبو القاسم على بن الحسين بن موسى بن محمّد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم المشهور بالسيد المرتضى وبعلم الهدى، جمع من العلوم ما لم يجمعه أحد، له تصانيف مشهورة منها: الشافى فى الإمامة، وكتاب الطيف والخيال، وكتاب الغرر والدرر، وله ديوان شعر يزيد على عشرين ألف بيت، وهو أخ السيّد الشريف الرضى

رحمة الله عليه. ولد سنة (۳۵۵ه) وتوفّی سنة (۴۳۶ه) ودفن فی بیته. وقیل إنه خلّف بعد وفاته (۸۰ ألف مجلّداً) من مقروءاته ومصنّفاته ومحفوظاته، أنظر الکنی والألقاب: ج ۲ ص ۴۸۲ (علم الهدی).

() الحسن ویقال الحسین بن یوسف بن علی بن المطهّر الحلّی ویعرف بالعلّامة: من أئمّة الشیعة وأحد کبار العلماء نسبته إلی مدینة الحلّة فی العراق وفیها مولده ومسکنه ومدفنه، له کتب کثیرة منها: تبصرة المتعلّمین فی أحکام الدین، وتهذیب طریق الوصول إلی علم الأصول، والأحکام فی معرفة الحلال والحرام، ومختلف الشیعة فی أحکام الشریعة، وأنوار الملکوت فی شرح الیاقوت. انظر روضات الجنّات: ج ۲ ص ۲۶۸ بالرقم (۱۹۸).

() هو جعفر بن یحیی بن حسن بن سعید الهذلی الملقّب ب (نجم الدین والمحقّق) والمکنّی بأبی القاسم، ولد عام ۶۳۸ه وتوفّی عام ۷۲۶ه ونقل بعض أنّ وفاته عام ۶۷۶ه، من تألیفاته القیّمة هو کتاب (شرائع الإسلام) الذی طرح فیه ۱۲ ألف مسألة.

() وهما الشیخ شمس الدین محمّد بن مکّی بن محمّد بن حامد العاملی الذی استشهد عام ۸۷۶ه. والشیخ زین الدین نور الدین علی بن أحمد بن جمال الدین بن تقی الدین صالح وقد استشهد فی عام ۹۷۵ه أو ۹۷۶ه وقد ترک بدنه ثلاثة أیّام ثمّ رموه فی البحر.

() کان هشام یکنّی أبا محمّد وهو مولی بنی شیبان کوفی وقد نزل بغداد ولقی الإمام الصادق علیه السلام والإمام الکاظم علیه السلام وله عنهما روایات کثیرة، وروی عنهما ؟ فیه مدائح جلیلة وکان ممّن فتق الکلام فی الإمامة وهذّب المذهب بالنظر وکان حاذقاً بصناعة الکلام حاضر الجواب.

() کان وجهاً من وجوه الشیعة عظیم المنزلة وقد أشار إلیه الإمام الرضا علیه السلام فی العلم والفتیا، وکان ممّن بذل له علی الوقف مال جزیل فامتنع من أخذه وثبت علی الحقّ.

() عبدالله بن جبلة الکنانی: عدّه الشیخ الطوسی (رضوان الله علیه) فی رجاله من أصحاب الإمام الکاظم علیه السلام، وقال النجاشی عنه: عبدالله بن جبلة بن حنان بن الحرّ الکنانی أبو محمّد ثقة.. وکان فقیهاً ثقة مشهور له کتب منها: کتاب الرجال، کتاب الصفة فی الغیبة، کتاب الصلاة، کتاب زکاة الفطرة، کتاب الطلاق، کتاب المواریث، کتاب النوادر.

() قال الشیخ الطوسی فی الفهرست: إسماعیل بن مهران بن محمّد بن أبی نصر السکونی.. ثقة معتمد علیه، روی عن جماعة من أصحابنا عن أبی عبد الله علیه السلام ولقی الإمام الرضا علیه السلام وروی عنه وصنّف مصنّفات کثیرة.

() أُبی بن کعب: عدّه الطوسی فی رجاله من أصحاب رسول الله ؟ وقال: یکنّی أبا المنذر، شهد العقبة مع السبعین وکان یکتب الوحی، آخی رسول الله ؟ بینه وبین سعید بن زید، وقال الطباطبائی: إنّه من الإثنی عشر الذین أنکروا علی أبی بکر تقدّمه وجلوسه مجلس رسول الله.؟

() راجع کتاب (تأسیس الشیعة لعلوم الإسلام) للعلامة السیّد حسن الصدر حیث تطرّق قدّس سرّه إلی أسبقیة الشیعة فی التألیف والکتابة فی مختلف العلوم وقد دحض بذلک بعض الإدّعاءات الخاویة الرامیة للشیعة بأنّهم لا مصنّفات لهم وأنّهم تأخّروا عن غیرهم فی التصنیف والتألیف.

() هذا فضلاً عن البرامج الثقافیة الأُخری التی منها المجلات والصحف والأقلام وغیرها من وسائل الإعلام المستخدمة لإفساد الشعوب المسلمة.

() راجع کتاب (عندما یحکم الإسلام) للدکتور عبد الله النفیسی الصفحة الأخیرة.

() الکافی، من لا یحضره الفقیه، الاستبصار، تهذیب الأحکام.

() هو الشیخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملی الجبعی المشهور بالحرّ العاملی، ولد سنة ۱۰۲۳ه وتوفّی سنة ۱۱۰۴ه ودفن فی إیوان المشهد الرضوی. خلّف ثمانیة وعشرین مؤلّفاً کبیراً وسبعة وعشرین منظومة وحاشیة، ومن مؤلّفاته وسائل الشیعة، إثبات الهداة، أمل الآمل.

() بحار الأنوار، وسائل الشيعة.

() بحار الأنوار: ج۲ ص۲۲ باب ثواب الهداية والتعليم ح۶۵.

() هو الميرزا حسين بن الميرزا محمّد تقى بن الميرزا على محمّد بن تقى النورى الطريحى من أعاظم علماء الشيعة وكبار رجال الإسلام فى هذا القرن، ولد فى ۱۸ شوال ۱۲۵۴ فى قرية (يالو) من قرى نور إحدى كور طبرستان ونشأ فيها يتيماً، له عدّة هجرات إلى العراق وحضر دروس كبار العلماء أمثال الشيخ الأنصارى حيث درس درسه أشهر قلائل ولازم المجدّد الشيرازى حتّى توفّى المجدّد، وقد توفّى النورى رحمة الله عليه ليلة الأربعاء لثلاث بقين من جمادى الثانية (۱۳۲۰ه) ودفن فى مدينة كربلاء المقدّسة داخل الصحن الشريف وكان يوم وفاته مشهوداً حزن فيه عامّة الناس لا سيّما العلماء الأعلام.

() ولد فى كربلاء المقدّسة سنة ۱۳۲۷ه وانتهل العلوم والمعارف الإسلامية من معين مدارسها الدينية، وبلغ مكانةً عالية فى الخطابة الحسينية، واتّسم بالصفات الحسنة كالكرم والشجاعة والإقدام. واشتهر بقراءته لمقتل الإمام الحسين عليه السلام فى يوم عاشوراء. اغتيل بالسمّ عبر القهوة سنة ۱۳۹۴ه من قبل الحكومة البعثية فى العراق. من مؤلّفاته: قتيل العبرة.

() كتاب (الغدير) للعلامة المحقّق الشيخ عبد الحسين الأمينى رحمة الله عليه يقع فى عشرين مجلّداً طبع منها ۱۱جلداً، ألّفه رحمة الله عليه خلال عشرين سنة وعانى من أجل تأليفه الكثير من المضايقات وضحّى بالغالى والنفيس من أجله، وهو يعتبر من خيرة مؤلّفات الشيعة الإمامية التى تثبت أحقّية أهل البيت عليهم السلام وصحّة عقائدهم.

() وهذا يدل على دقّتهم فى نقل الأحاديث حيث كانوا لا يدوّنون إلّا المسموعات بالطرق الصحيحة.

() رجال النجاشى: ص۲۸.

() رجال الكشى: ص۵۰۷.

() راجع رجال النجاشى: ص۱۸۱.

() وكان ذلك قبل أربعين عاماً تقريباً.

() للإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمة الله عليه، والكتاب عبارة عن رسائل متبادلة بين رئيس الأزهر آنذاك الشيخ سليم البشرى وبين آية الله السيّد شرف الدين حول الإمامة سنة ۱۳۳۰ه. ولد السيّد شرف الدين سنة ۱۲۹۰ه فى مدينة الكاظمية فى العراق، ويعدّ من تلاميذ الشيخ محمّد كاظم الخراسانى، تصدّى للاستعمار الفرنسى فى لبنان، فطاردته القوّات الفرنسية، وتعرّض للاغتيال عدّة مرّات وأُحرق بيته ومكتبته وكتبه الخطّية التسعة عشر التى لم يتسنّ لها أن ترى النور. توفّى فى الثامن من جمادى الثانية سنة ۱۳۷۷ه وترك عدّة مؤلّفات مطبوعة، منها: الفصول المهمّة فى تأليف الأُمّة، أبو هريرة، أجوبة مسائل موسى جار الله، النص والاجتهاد، فلسفة الميثاق والولاية، رسالة كلامية، المجالس الفاخرة فى مآتم العترة الطاهرة.

() فى العصور السابقة كانت الحركة الكتابية تختلف عمّا عليه الآن، فلو أردنا أن نستعرض تطوّر الكتابة فى العصور السابقة من الرسوم والنقوش على الجدران والمواد الصلبة ثمّ إلى نظام الإشارات، كما كان يستخدمه البابليّون والسومريّون فى الألف الثانية قبل الميلاد ثمّ إلى الحروف المسماريّة، أو نستعرض أدوات الكتابة أو موادها وطريقة تحضيرها، أو نستعرض كيفية نسخ الكتاب أو طبعه أو توزيعه، أو نستعرض قدم النصوص الكتابيّة أو المكتبات العامّة والخاصّة وما تحتويها من مخطوطات، أو نستعرض الرقابة ومسير الكتّاب أو أنواع الكتب وأحجامها وأشكالها لطال بنا المقام، وبإشارة نقول:

كانت الكتابة تتمّ على ألواح الخشب والطين والمواد الصلبة والجلود وورق البردى، وكانت بعض الدول تستخدم أعواد البامبو ودروع السلاحف والعظام والحرير ولحاء النخيل والقشرة الرقيقة البيضاء لثمرة البتولا للكتابة. وكانت الأقلام الكتابيّة عبارة عن أقلام القصب وريش الطيور والأقلام المعدنيّة، وكان تحضير الحبر الأحمر والأسود يتمّ بصعوبة وكانت الأوانى التى يتمّ حفظ الحبر فيها تصنع من الفخار أو البرونز، فعلى سبيل المثال إنّ تحضير الأرقام الطينيّة يتمّ عبر وضع كمّية من الطين فى إناء الماء لغرض تصفيته من الحصى

والمواد الثقيلة، حيث تترسّب هذه المواد فى القاع، أمّا القش وفتات الخشب وما أشبه فإنّها تطفو على السطح، فبعد إزالة ما يطفو يأخذ الطين بعد ترك ما هبط منه نحو الأسفل، وكان يتراوح حجم الطين من «۵ – ۶» سم إلى «۲۵ – ۳۰» سم من حيث الارتفاع. وكان الكتّاب ينقشون الإشارات والرموز على الطين النقى ثم يوضع تحت أشعّة الشمس إلى أن تجفّ ثمّ يحفظ فى الخوابى الطينيّة أو ترتّب على الرفوف.

وتحضير الجلود للكتابة يتمّ عبر غطس جلود الغنم والماعز ثلاثة أيّام فى ماء الجير، لكى يذوب عنها الشحم وبقايا اللحم، وبعد ذلك يزال الصوف عنها وتشدّ ثمّ تترك مدّة من الزمن لكى تجفّ تماماً، وفى النهاية تؤخذ الجلود لتصقل من الطرفين وتقطع على شكل مربّعات. وكانت الكتابة تتمّ على الطرفين. وأقدم نصّ كتب على الجلود عُثر عليه فى مصر، يرجع إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وانتشر استعمال الجلود بكميّات كبيرة فى القرن التاسع قبل الميلاد فى مصر والعراق، ومنهما انتقل إلى البلاد الأُخرى.

أمّا تحضير الورق البردى فيتمّ عبر أخذ ساق النبات وتقسيمها إلى شرائح طويلة ثمّ توضع الشريحة فوق الأُخرى بشكل متصالب وتغمر فى المياه ثمّ تجفّف تحت أشعّة الشمس، وتصقل بعد ذلك وتسوّى أطرافها بحيث لا يبعد طول الصفحة ۲۵ – ۳۰سم. وكانت الكتابة تتمّ على شكل أعمدة على طول الشريط وتتّصل ببعضها. وكان فى بادئ الأمر يستخدم الجبس فى طلاء الورق لئلاّ ينتشر الحبر فى موضع الكتابة وبعد ذلك أُستخدم الصمغ الذى يصنع من الأشنة أو النشاء. واستخدم ورق البردى فى الألف الرابعة قبل الميلاد فى مصر، ويعتقد البعض إنّ تاريخه يعود إلى منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد فى مصر، علماً إنّ مصر كانت أكبر مصدّر لهذا الورق. وانتهى استعمال هذا النوع من الورق فى القرن الثالث عشر الميلادى حيث حلّ محلّه الورق الجديد، وكانت بغداد ودمشق تعتبران مصدراً مهمّاً لصناعة هذا الورق ومنهما انتقل إلى أوروبا.

() هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن على الطوسى شيخ الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة عين صدوق، عارف بالأخبار والرجال، والفقه والأُصول، والكلام، والأدب، وجميع الفضائل تنسب إليه. ولد فى شهر رمضان سنة (۳۸۵ه) وتوفّى فى شهر محرّم سنة (۴۶۰ه) ودفن بالمشهد الغروى المقدّس، له مؤلّفات كثيرة منها: المجالس المشتهر بالأمالى، الغيبة، المصباح الكبير، المصباح الصغير، الخلاف، المبسوط، الفهرست، والرجال ...، الخ. انظر روضات الجنّات: ج۶ ص۲۱۶ باب ما أوّله الميم.

() هو المحقّق المتكلّم الحكيم المتبحّر الجليل، محمّد بن محمّد بن الحسن الطوسى رحمة الله عليه صاحب كتاب تجريد العقائد، وكتاب التذكرة النصيرية، وكتاب تحرير أقليدس وتحرير المجسطى وشرح الإشارات والفصول النصيرية والفرائض النصيرية والأخلاق الناصرية وكثير غيرها، ولد رحمة الله عليه بمشهد طوس فى سنة ۵۹۷ه، وتوفّى فى سنة ۶۷۲ه ودفن فى مقابر قريش فى الكاظمية. انظر روضات الجنّات: ج۶ ص۳۰۰ باب ما أوّله الميم.

() راجع كتاب قصص العلماء، للتنكابنى: ص۴۳۲.

() هو أبو القاسم، إسماعيل بن عبّاد بن العبّاس الملقّب بالصاحب (الأصفهانى) ولد سنة ۳۲۶ه، سمّاه بالصاحب الأمير أبو منصور بويه ركن الدولة لمّا صاحبه إلى بغداد عام ۳۴۷ه، ولمّا تولّى أبو منصور الحكومة استدعى الصاحب من أصفهان وولاّه الوزارة. تميّز الصاحب بالأدب الرفيع حتّى صار أحد أقطاب الأدب العربى، وقد عدّ بعضهم له سبعاً وثلاثين مؤلّفاً طبع منها اثنى عشر كتاباً.

() الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج۶ ص۲۵۶.

() أعيان الشيعة: ج۸ ص۸.

() هولاكو (نحو ۱۲۱۷ – ۱۲۶۵م) مغولى مؤسس دولة المغول الإيلخانية فى إيران سنة ۱۲۵۱م حفيد جنكيز خان، أخضع أُمراء الفرس والإسماعيلية فى قلعة (الموت) ۱۲۵۶م، قضى على الخلافة العباسية فى بغداد ۱۲۵۸م واحتل سورية. هاجم المماليك جيشه فى عين جالوت وأبادوه ۱۲۶۰م. انظر المنجد فى الأعلام حرف (الهاء).

() راجع تاريخ التمدّن الإسلامى: ج۳ ص۵۱.

() راجع التراتيب الإدارية: ج۲ ص۴۵۳ – ۴۵۴.

() التراتيب الإدارية: ج۲ ص۴۵۴.

() التراتيب الإدارية: ج۲ ص۴۵۴ – ۴۵۵.

() للدكتور الكسندر ستيبتشفيتش

() ولا- يخفى أنّ الإمام الشيرازى نفسه قسّمت عدد صفحات كتبه على أيّام عمره، فظهر أنّه رحمة الله عليه كان يؤلّف أكثر من ۲۵ صفحة فى كل يوم. راجع كتاب (الوصايا الأخيرة).

() قصص العلماء للتنكابنى: ص۲۲۱ – ۲۲۲.

() عبد الكريم قاسم محمّد بكر الزبيدى من مواليد (۱۹۱۴م) بغداد، التحق بالكلّية العسكرية فى عام (۱۹۳۲م). شارك فى حرب فلسطين عام (۱۹۴۸م) فى جبهة الأردن، انتمى لتنظيم الضبّاط الأحرار عام (۱۹۵۶م). قام بانقلاب عسكرى عام (۱۳۷۷ه – ۱۹۵۸م)، أطاح بالحكم الملكى، قتل أغلب أفراد العائلة الملكية بما فيهم الملك فيصل الثانى، أعلن الحكم الجمهورى. ألغى المظاهر الديمقراطية كالبرلمان والتعدّدية الحزبية ما عدا الحزب الشيوعى الذى أضحى الحزب المحبّب للسلطة، وألغى الحكم المدنى. استمرّ حكمه قرابة أربع سنوات ونصف تقريباً. تعرّض فى عام (۱۹۶۳م) لانقلاب عسكرى دبّره عبدالسلام عارف مع مجموعة من الضبّاط البعثيين أمثال أحمد حسن البكر وعبدالكريم فرحان وصالح مهدى عمّاش وغيرهم، أُعدم رمياً بالرصاص مع بعض رفاقه فى دار الاذاعة فى التاسع من شباط ۱۹۶۳م.

() وهو تفسير مزجى ومختصر مبسّط يفهمه الجميع، ويشتمل على ميزات لم توجد فى سائر التفاسير إلّا نادراً، طبع مرتان (ثلاثون جزءً فى ۱۰ مجلّدات) فى بيروت لبنان عام ۱۴۰۰ه، إلّا الأجزاء الثلاثة الأخيرة (۲۸ و۲۹ و۳۰) حيث طبعت ثلاث مرّات كانت أُولاها فى النجف الأشرف – العراق عامى ۱۳۸۵ه و۱۳۸۷ه.

() نورى سعيد صالح السعيد من مواليد بغداد عام (۱۳۰۶ه / ۱۸۸۸م)، أصبح رئيساً للوزراء بين عام (۱۳۴۹ / ۱۳۷۷ه – ۱۹۳۰ / ۱۹۵۸م) لأربع عشرة دورة، ووزيراً للدفاع فى خمس عشرة دورة، ووزيراً للخارجية فى إحدى عشرة دورة، ووزيراً للداخلية فى دورتين. أحد عملاء بريطانيا فى العالم العربى، وضع إمكانات العراق وقدراته تحت تصرّف البريطانيين، وكانت سياسته مبنية على نظرية (خذ وطالب) وعلى التحالف مع الإنجليز وجعل العراق ضمن التكتلات الدولية والتبعية الاقتصادية للاستعمار، وجعل العراق سوقاً لمنتجات الدول الاستعمارية ومصدراً لمواده الخام. أسّس فى الخمسينيات حزب الاتحاد الدستورى لدعم وزارته، وكان حزبه وحزب صالح جبر (الأُمّة الاشتراكى) لا يختلفان من الناحية التنظيمية والفكرية عن بعضهما، فالاثنان مواليان للإنجليز وأغلب أعضائهما من القطاع الموالى للإنجليز، وكانا يتنافسان أحياناً ويختلفان فى بعض المسائل الداخلية. انتحر بعد أن أطلق النار على نفسه عام (۱۳۷۷ه / ۱۹۵۸م) وقيل قتل، من مؤلّفاته: استقلال العرب ووحدتهم.

() هو المفكّر الإسلامى الكبير آية الله الشهيد السيّد حسن الشيرازى (۱۳۵۴ – ۱۴۰۰ه) الأخ الأصغر للإمام المؤلّف رحمة الله عليه.. وقد كتب مقالات عديدة (فى مجلّة الأخلاق والآداب التى كانت تصدر من مدينة كربلاء المقدّسة منذ عام (۱۳۷۷ه)) منها: (زيارة العتبات) و (الإسلام يعالج مشكلة الطبقات) وغيرهما..

() راجع كتاب (عشت فى كربلاء) و(كفاحنا) للمؤلّف رحمة الله عليه.

() راجع كتاب فى بلادى ص۳۴.

() الكتاب الذى صودر كان باسم (روش حكومت پيامبر وأمير مؤمنان) بالفارسية، وقد صادرتها السلطات الإيرانية من المطبعة وأحرقتها جميعاً، ثم طبع الكتاب بعد سنوات عديدة فى بلد آخر باسم (برتوى از حكومت پيامبر ? وأمير مؤمنان عليه السلام.

() صادرت السلطات الإيرانية فى مطار طهران الدولى (مطار مهرآباد) النسخة الخطية لكتاب (كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام)

لآیة الله الشهید السیّد حسن الشیرازی رحمة الله علیه وذلک فی تاریخ ۲۷/۶/۱۹۹۵م، من أحد المشایخ الذی کان قد أتی بالکتاب من لبنان وسوریا.

() ومن الکتب التی صادرتها السلطات الإیرانیة، وأتلفت جمیع نسخها المطبوعة: (الفقه: الدولة الإسلامیة) ثم طبع الکتاب فی بیروت.

() مستدرک الوسائل: ج۱۲ ص ۲۳۰ ح ۱۳۹۶۰

() سورة الذاریات: ۵۳.

() الدولة هی أمریکا، وقد ورد هذا التقریر فی مجلة فارسیة نشرت عام ۱۹۹۸م.

() أشار المؤلّف رحمة الله علیه فی هذا الکتیب إلی ما وقع من تحریف فی کتب النصاری وبین أهم اعتقاداتهم المنحرفة بالله تعالی وبأنبیائه وکیف أنّهم حرّفوا النصرانیة التی جاء بها نبی الله عیسی (علی نبیّنا وآله وعلیه السلام).

() انظر مجلّة العربی العدد ۴۰۳.

() من شعراء وفلاسفة الهند، ولد سنة ۱۸۷۶م ومات سنة ۱۹۳۸م، وله عدّة مؤلّفات باللغتین الأوردیة والفارسیة.

() انظر مجلّة «دعوة الحقّ» المغربیة.

() موهانداس کرامساند غاندی (۱۸۶۹ – ۱۹۴۸م) زعیم وطنی هندی ومصلح اجتماعی ورائد فلسفة اللّاعنف فی الحیاة السیاسیة فی عصره، ولد فی مدینة (بوربند) الواقعة فی مقاطعة غوجارات الهندیة، لقّب ب (المهاتما) أی (النفس السامیة) أو (القدّیس)، دعا إلی تحریر القارة الهندیة من سیطرة الاستعمار الإنجلیزی بالطرق السلمیة والمقاومة السلبیة بعیداً عن العنف، قامت الأسس العقائدیة والفکریة لنضاله علی خلفیات دینیة واقتصادیة وسیاسیة فی آن واحد، وهو فی هذا المضمار قد تأثّر بالتعالیم من الکتب السماویة مثل (القرآن الکریم) و (الإنجیل) والتعلیمات الروحیة الهندوسیة وبعدد من المؤلّفات، کما لا ینسی دور والدته فی تربیته الدینیة وبناء شخصیته أیام طفولته وصباوته، وقد تأثّر تأثّراً عمیقاً بقضیة عاشوراء التی استشهد فیها الإمام الحسین علیه السلام وأصحابه وسبی أهل بیته علیهم السلام حتّی قال مقولته الشهیرة: (تعلّمت من الحسین کیف أکون مظلوماً فأنتصر)، أدّت جهوده الحثیثة إلی استقلال الهند عام ۱۹۴۷م، کتبت عن شخصیته أکثر من ثلاثمائة کتاب، اغتاله برهمانی متعصّب فی عام (۱۹۴۸م).

() راجع مجلة العربی: العدد ۴۷۵ یونیو ۱۹۹۸م.

() راجع مجلة النبأ: العدد ۲۸ ص۳۸ السنة الرابعة.

() فقد جاء فی بعض الإحصاءات أنّ إیران وحدها تنفق سنویاً ۳ بلایین دولار علی شراء الأسلحة والمعدات العسکریة إضافة إلی الإنفاق الکبیر علی أجهزة الأمن وحمایة النظام. الحیاة العدد ۱۲۵۴۸ ص ۱۱.

() السیّد زین العابدین الکاشانی، توفّی عام ۱۳۷۵ه ودفن فی قم المقدّسة.

() جناح، محمّد علی سیاسی وأدیب باکستانی، ولد عام ۱۸۷۶ وتوفّی سنة ۱۹۴۸م وقد کان رئیس (الحلف الإسلامی) ومؤسّس دولة باکستان وأول رئیس لها عام (۱۹۴۷م).

() فضل بن حسن بن فضل الطبرسی أبو علی الملقّب بالأمین، عالم فاضل جلیل القدر له مؤلّفات منها تفسیر مجمع البیان وتفسیر جامع الجوامع الذی یقع فی أربعة مجلّدات. ونقل أنّه لمّا شرع فی تفسیره مجمع البیان کان عمره قد تجاوز الستین، ولمّا شرع بتفسیره الجامع کان قد تجاوز من العمر السبعین، وله تفسیر موجز فی مجلّد واحد، وله کتاب إعلام الوری، توفّی رحمة الله علیه عام ۵۴۸ه ودفن فی المشهد الرضوی.

() الشیخ محمّد حسن بن الشیخ باقر ولد فی حدود سنة ۱۲۰۰ أو ۱۲۰۲ه حسب تقدیر الآغا بزرک الطهرانی رحمة الله علیه، وقد نشأ وترعرع فی أحضان أُسرة علمیة عریقة من حیث الأُمّهات والآباء. وقد شهدت الحوزات العلمیة فی عصره ازدهاراً واضحاً وکان للشیخ دور واضح فی هذه الحرکة العلمیة. وقد ألّف الشیخ حسن رحمة الله علیه مؤلّفات عدیدة أبرزها هو کتابه (الجواهر) تلک الدورة

الفقهية العظيمة التى بقيت كمركز استفادة للطلّاب والفقهاء على مرّ الزمان.

() بحار الأنوار: ج۱ ص۲۰۳ _ ۲۰۴ ب۲ ح۲۱.

() الملّا مهـدى النراقى ابن أبى ذرّ النراقى الكاشانى، كان عالماً فائقاً لعلماء عصـره، درس ثلاثين عاماً عنـد الملّا إسـماعيل الخاجوئى وله مؤلّفات قيّمة منها: القوامع فى الفقه، والأنيس، والمعتمد، والتجريد، ومحرق القلوب فى مصائب أهل البيت عليهم السلام.

() السيّد نعمـة الله ابن السيّد عبـدالله ابن السيّد محمّـد الجزائرى، ولـد فى المنطقـة الجنوبيـة من ايران سـنة ۱۰۵۰ه وتوفّى فى الثـالث والعشرين من شوال ۱۱۱۲ه، وكان عالماً فاضـلاً ومحقّقاً مدقّقاً ومتضـلّعاً فى اللغة العربية وآدابها وفى الفقه والحديث، ويعدّ من تلاميذ المجلسى والسيّد هاشم البحرانى والفيض الكاشانى.

ترك ثلاثـاً وأربعين كتاباً وتعليقـة منها: غايـة المرام فى شـرح تهـذيب الأحكام، شـرح روضـة الكافى، البحور الزاخرة فى شـرح كلام العترة الطاهرة، أُنس الوحيد فى شرح التوحيد، الأنوار النعمانية فى معرفة النشأة الإنسانية.

() هو الشيخ عبّاس محمّد رضا القمّى عالم عامل ثقة عدل متتبع بحّاثة عصره أمين مهذّب زاهد عابد صاحب المؤلّفات المفيدة، تتلمّذ على الشـيخ حسـين النورى صاحب مسـتدرك الوسائل، له مؤلّفات كثيرة منها كتاب هدايـة الأحباب وكتاب الفوائـد الرضوية وكتاب الكنى والألقاب ومفاتيح الجنان فى الأدعية والزيارات لأئمّة الهدى، توفّى عام ۱۳۵۹ه.

() رضـا خان بهلوى (۱۲۹۵ ۱۳۶۳ه = ۱۸۷۸ ۱۹۴۴م) شاه إيران عام (۱۳۴۳ ۱۳۵۹ه) كـان ضابطاً من ضـباط الجيش الإيرانى، أطاح بأسـرة قاجار الحاكمة وأعلن نفسه شاهاً على إيران عام (۱۹۲۵م) وحكـم البلاد بالاستبداد ثمّ اضطرّ إلى التنازل عن العرش لابنه محمّد رضا بهلوى.

() سورة المؤمنون: ۵۲.

() سورة آل عمران: ۱۰۳.

() انظر صحيفة الحياة، العدد ۱۲۶۰۳ ص۲۴، الاثنين ۱ أيلول (سبتمبر) ۱۹۹۷ الموافق ۲۹ ربيع الآخر ۱۴۱۸ه.

() كانت القيمة الشرائية للدينار الواحد آنذاك ما يعادل ألف خبزة تقريباً.

() أشـار سـماحة الإمـام الراحـل رحمـة الله عليه إلى مقتطفـات من هـذه المضايقـات فى مقدّمـة كتابه «مباحثات مع الشـيوعيين» فقال: وبالمناسـبة فلا بأس أن أشير فى مقدّمـة هـذا البحث إلى التهم التى تلقّيتها.. فى الجملـة مع تحفّظى على نظافة الكلام فإنّى لا أريد أن أجرح أحداً، ولذا تماسكت عن ذكر الأسماء وبعض الخصوصيات التى ربما تكون مؤشّرة إلى ما يوجب الجرح.

ذات مرّة اجتمعنا عـدّة من الأصـدقاء لتأسيس مكتبـة فى المدرسـة الهنديـة فى كربلاء المقدّسـة باسم المكتبـة الجعفريـة، فقالوا: إنّهم يريدون استملاك كتب الناس بهذه الحجّة، وقالوا: إنّ هذا العمل هدم لموازين أهل العلم.

واجتمعنا لإخراج مجلّة (أجوبة المسائل الدينية) فقالوا: إنّهم شـكّلوا لجنة (سلونى قبل أن تفقدونى) وقالوا: هذا فضح لرجال الدين لأنّ المثقفين يستشكلون إشكالات تعجزون عن الجواب عنها. وذلك يسبّب فشل الدين ورجال الدين.

ولمّا أن قررنا تأسيس (الجمعية الخيرية الإسلامية) قالوا: هذا هدم لحوزة الطلبة فى كربلاء لأنه يسبّب جرّ أهل العلم إلى التجدّد.

وحين اشتركنا لتأسـيس (مطبعـة أهل البيت عليهم السـلام) قالوا: إنّ هذا العمل يوجب تسـليط الفسّاق على المتديّنين حيث إنّ المطبعة توجب تحرّك الأقلام المنحرفة.

ولمّا أن طبعت (وسائل الشـيعة ومسـتدركاتها) قالوا: هـذا هـدم للتشيّع لأنّ المسـتدرك كلّه ضـعيف، وقد تعب علماء الشـيعة لإخراج الضعاف عن منهج التشيّع فهذا إرجاع إلى الوراء.

ولمّا طبعت كتاب (هكذا الشيعة)، قالوا: هذا تفرقة وطائفية.

ولمّا طبعت كتاب (مقالات) قالوا: نفران أفسدا العراق (عبد الكريم قاسم) بثورته و(محمّد) بتأليفه المقالات.

ولمّا طبعت كتاب (الفقه) قالوا ليس له.

وحين خرج كتاب لي في الأحاديث، قالوا إنه تأليف والده لكنّه لم يرد أن ينسبه إلى نفسه فنسبه إلى ابنه.

ولمّا أخرجنا مجلّة (الأخلاق والآداب)، وكان في عدد من أعدادها تهجماً على الاستعمار قرّر (نوري السعيد) غلق المجلّة، وسجن القائمين بها ثلاثة أشهر.

ولمّا أخرجنا (المنشورات الدورية) في المناسبات الدينية، قالوا: إنّها تموّل من (دولارات أمريكية).

ولمّا كتبت مقالاً ضدّ الشيوعية في مجلّة (رسالة الشرق) الكربلائية قالوا: إنّها تموّل من (النقطة الرابعة) وقد أقاموا الدنيا وأقعدوها ضدّ المجلّة وضدّي وضدّ المشتركين في تحرير المجلّة.

ولمّا أن اشتركنا في تأسيس مؤسّسة (النشر الإسلامي) قالوا: كل الناس يعرفون الإسلام والتشيّع فما الداعي إلى صرف الوقت والمال في أمثال هذه الأمور.

ولمّا أن كتبنا أي كتاب قالوا ما فائدة هذا الكتاب (فالوصول) لا يحتاج إليه لأنّ الكفاية في غنى بسبب حواشيها عن الوصول و (الجواهر) لم يدع مجالاً (للفقه) وشرح (العلاّمة على التجريد) أغنى الناس عن (القول السديد) وهكذا وهلم جرّا.

ولمّا أسّسنا المكتبات، قالوا أوجد القرّاء فما فائدة المكتبات بلا قرّاء (وعند الشيخ كتب من أبيه) (مسطّرة ولكن ما قراها).

() نهج البلاغة: قصار الحكم ۴۷.

() نهج البلاغة: قصار الحكم ۳۸۶.

() السيّد سعيد أحمد بن السيد جعفر السيد حسين زيني، ينتمي إلى أُسرة معروفة بالفضل، يعود نسبه إلى الإمام الحسن بن علي عليه السلام كتبي مشهور، له مشاعر طيبة وروح لطيفة محمود السيرة، وكان سياسياً واعياً وله علاقات مع بعض السياسيين وكان في نفس الوقت وكيلاً للسيد الحكيم ومن ثم وكيلاً للسيد الخوئي (قدّس سرّهما) في مدينة كربلاء المقدّسة.

() وقد أحصى بعض المهتمين الكتب التي ألفت ببركة حث الإمام الشيرازي رحمة الله عليه وتأكيده فتجاوزت الخمسة آلاف عنوان.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ في سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ عليّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – في تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذي" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذي قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام عليّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، في سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّي الحاسوبيّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمع من خِرّيجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرّي الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – في المحاميل

(=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی " القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع " ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم

– فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.


مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹